

هلهلة الشعر العربي القديم

جزالة أو ركاكة

د. محمد جمال صقر*

مقدمة : هلهلة الشعر

[١] عدى (مهلهل) بن ربيعة التغلبي أخو كليب وائل، شاعر جاهلي قديم، عاش آخر القرن الميلادي الخامس وأول السادس (١)، وذكره بأولية الشعراء، لبيد بن ربيعة، وحارثة بن بدر الغداني - وهما مخضرمان - وسراقة البارقي، والضرزدق وهما إسلاميان - من الشعراء، وذكره بأولية المقصدين ابن سلام الجمحي، وابن قتيبة، وثعلب، وأبو حاتم الرازي، والأصفهاني، وأبو هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، والقلقشندي، وأبو علي القالي، من العلماء، وخالفهم امرؤ القيس بن حجر الكندي - وهو ابن أخت مهلهل - من الشعراء، ومحمد بن إسحاق، ومصعب الزبيري، وأبو حاتم السجستاني، وأبو زيد القرشي، والأمدى، وأبو أحمد العسكري، والمريزاني، وأبو عبيد البكري، والميداني، وابن سعيد الأندلسي. وأبو عبد الله الشبلي، وأبو بكر الحنبلي، والسيوطي، من العلماء (٢).

بتلك الأولية تفاخرت العرب، فزعمتها لشعرائها القدماء، قبائل منها مختلفة؛ فلا عجب أن يختلف في مهلهل أخذًا عنهم العلماء والشعراء!

[٢] ولكن «هناك ما يشبه الإجماع على أن الشعراء الأوائل جيلان: الجيل الأول يسبقه الثاني. ولكن مثليه لا يعدون، في عرف بعض العلماء، شعراء لأنهم لم يقولوا الشعر بعد الشعر. ومهم : خزيمة بن بهد، ودويد بن زيد، وأعصر بن سعد بن قيس عيلان إلخ. أما الجيل الثاني فهو الذي قصد القصيد، وأبرر مثليه. مهلهل. ورهير بن حباب. وعبد بن الأرض. وأبو قلابه الهدلي. وسعد بن مالك والفند الزماني .. إلخ وهؤلاء متقاربون في أزمانهم، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة النبوية الشريفة بمئة وخمسين سنة، أو مئتي سنة في أبعد تقدير» (٣).

ولم يكن تقصيد القصيد المجمع عليه فيما سبق، لمهلهل وجيله، إلا هذه الثلاثة جميعا معا. النظم مما يلائم عناء الركبان من العروس، والإطالة، والإكثار - قياسا إلى حال من قبلهم (٤)

[٣] ولكن من العلماء من نسب عديا إلى هلهلة الشعر رادًا إليها لقد - قادمًا -

• مدرس النحو والصرف بكلية دار العلوم. جامعة القاهرة والمعار حاليا إلى كلية الآداب والعلوم الاجتماعية. بجامعة السلطان قابوس. عمان.

" فإِذَا سُمِّيَ مُهْلَهُلٌ لِأَنَّهُ كَانَ مُهْلَهُلَ الشَّعْرِ أَيْ بَرَقَتْهُ وَلَا يُحْكَمُهُ " ، كما قال الأصمعي الجليل . وذكره ابنُ دريد العالم الشاعرُ (٥) ، و " هَلْهَلَهُ شِعْرُهُ كَهَلْهَلَةِ الثَّوبِ ، وَهُوَ اضْطِرَابُهُ وَاجْتِلَافُهُ " ، كما قال ابن سلام الجليل (٦) ، ثم نقل المرزباني كلامه (٧) ، و " لِرَدَاءَةِ شِعْرِهِ " ، كما روى ابن منظور (٨) .

- أو مادحا :

فإِذَا " سُمِّيَ مُهْلَهُلٌ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَقَّ الشَّعْرَ ، وَجَنَّبَ الْكَلَامَ الْغَرِيبَ الْوَحْشِيَّ " ، كما قال ابنُ الأعرابي الجليل ، وذكره المرزباني (٩) ، و " لِأَنَّهُ هَلْهَلَ الشَّعْرَ ، أَيْ أَرَقَّهُ . وَكَانَ فِيهِ حُنْتُ " ، كما قال ابن قتيبة الجليل (١٠) ، ثم نقل الهالي ثم البغدادي كلامه (١١) ، و " لطيب شِعْرِهِ ، وَرَقَّهُ ، وَكَانَ أَخَذَ مَنْ غَنَى مِنَ الْعَرَبِ فِي شِعْرِهِ . . . وَكَانَ فِيهِ حُنْتُ وَلَكِنْ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمُحَادَثَةِ لِلنِّسَاءِ ، فَكَانَ كَلِيبٌ يَسْتَبِيهِ (زَيْرُ النِّسَاءِ) " ، كما قال الأصفهاني (١٢) !

[٤] ولقد اقتصمت بينهم كلمات القدح والمدح على النحو العادل التالي في الجدول :

هَلْهَلَةُ الْقَدْحِ	هَلْهَلَةُ الْمَدْحِ
الترقيقُ وأطراحُ الأحكام	الترقيقُ وأطراحُ الغريبِ الوحشيِّ
إيقاعُ الاضطرابِ والاختلافِ	الإِرْقَاقُ
الإِرْدَاءُ	الإِطَابَةُ وَالْإِرْقَاقُ

ليس العطف الوارد في خلال ذلك للمغايرة ، بل للتفصيل ؛ فليس أطراح الإحكام عند القادح ، ولا أطراح الغريب الوحشي عند

المادح ، إلا الترقيق ، ولولا ذلك ما استقام بالكلمة قسمها القدح والمدح جميعا معا .

وليس معنى زيادة إفعال " الإِرْقَاق " ، غير التعدية التي في زيادة فَعِيل " الترقيق " ، قال ابن منظور : " أَرَقَّ الشَّيْءُ : وَرَقَّتْهُ

جعلهُ رَقِيْقًا " (١٣) ، بل التعدية التي في باب " فَعَلَ " ، محمولة على التي في باب " أَفْعَلَ " (١٤) - ومن ثم يوشك ' إيقاع الاضطراب والاختلاف " في القدح ، ألا يجد في المدح ما يقامه ، إلا أن نستفيد من شُعْعِ الإِرْقَاقِ مجديث الحنث الذي كان في عدي ، عند ابن قتيبة والأصمعي كليهما قال ابن منظور خنث الرجل حنثاً فهو خنثٌ . وَخَنَثْتُ وَأَخْنَثْتُ شَيْئاً وَنَكَسَرْتُ

وختنت الشيء فتختت أي عطفته قطعط . والمختت من ذلك للينه وتكسره . وهو الانحناء . والاسم المختت . وختنت في كلامه " (١٥)

ربما كان الإرقاق المقابل للإيقاع الاضطراب والاختلاف ، مطا من ذلك التختيت ، خرج به كلام عدي مثنيا منكسرا لينا على مثل كلام النساء من طول معاشرتهن ؛ فتعلق به بعض من يعلق بهن ، كما تعلق بعض شعر الناعة وابن قيس الرقيات ! وبفضل تأمل تبدو كلمات العلماء المتقابلة ، متنامية معا يؤدي بعضها إلى بعض ؛ فاطرارح الإحكام يقع في الشعر الاضطراب والاختلاف ؛ فيزدؤ - واطرارح الغريب الوحشي يرق الشعر ويختنه - إما قبلنا - قيطيب

[٥] أنرى بقيت في أولئك العلماء أثارة من ذلك الفاخر القديم ؛ فقدح فيه الهليلة خصوصه ؛ فمدحه بها هي نفسها أصحابه ، على طريقة من المناظرة عربية قديمة معروفة ، يفخر فيها الفاخر بمجصلة ، فثبثها خصمه ثم يؤفم فهمه لها ، على مثل ما روى المرزباني من تقديم صاحب جرير له على الفرزدق ، نجاته مما سقط فيه الفرزدق من التعقيد ، وتوهيم صاحب الفرزدق له بقوله : " أنت ، يا أخي ، لا تعقل ؛ سقط الفرزدق شيء يمتحن الرجال فيه عقولها حتى يستخرجوه ، وسقط جرير عي " (١٦) - فأخر مهلهل خصمه ، بهلله للشعر ، فأثبتها صاحبه ، ثم وفم فهمه لها ؟

ولقد يساعد كلا منهما أصل الهليلة في اللغة ؛ فهذا ابن منظور قول : " هَلْهَلُ النَّسَاجِ الثَّوبِ ، إذا أرق نسجه وخفقه . والهليلة سُخْفُ النَّسِجِ . . . وثوب هَلْهَلٍ رديء النسج ، وفيه من اللغات جميع ما تقدم في الرقيق ؛ قال الناعة :

أناك قول هَلْهَلٍ النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع

. . . والمهلهلة من الذروع أردوها سجا . - قال معصم - : هي الحسننة النسج ليست بصفيفة " (١٧) ؛ فهلهلة أي نسج

إرقاق تخفيف - وقد عهدناه في الأثواب الفاخرة - أو إرقاق تسخيف . وقد عهدناه في الأثواب البالية .

تكون هليلة مهلهل للشعر عند حصمه ، إرقاق تسخيف ، وعند صاحبه إرقاق تخفيف ، دلالة دلالة . والبادئ أظلم . بحاجة لا طائل وراءها ، ولا سيما ألا بيان لأي من الدالتين

أثم ترى فرق بين القادح والمادح شعره وأكثره منحول إليه محمول عليه . كما قال الأصمعي (١٨) ؛ فقدح فيه من لمميز شعره من شعر غيره ومدحه من غيره ؟

ولكن أبا حاتم سأل الأصمعي عن مهلهل مرة ، فأجابه : " ليس بفعل ، ولو قال مثل قوله :
أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْتَ بِي ،

خمس قصائد ، لكان أفحلهم " (١٩) ؛ فدل على أنه ممن ميز شعره من شعر غيره ، وقد مرَّ أنه من القادحين !
نم ترى هذه آثار أولية التصيد المسكتة لمهلهل كما سبق : وجوه طبيعية من الضعف ومن القوة جميعا معا ، غلب عليها لدى
القادح الضعف ، ولدى المادح القوة ؟

ولكن أين بيان ذلك ؟

كل أولئك وجوه من الظن لن تستولي على اليقين حتى يدركها البحث بسبر أثر الهفلة ، ثم فرق ما بين شعر مهلهل وشعر غيره
المحمول عليه المنحول إليه ، ثم فرق ما بين شعره وشعر من قبله وشعر من بعده .

الْمُهْلَةُ جَزَالَةٌ أَوْ رَكَّةٌ

[٦] اختار أبو تمام لمهل في "باب المراثي" من "ديوان الحماسة"، قوله في أخيه :

"بُئْتُ أَنْ تَخَارَ بَعْدَكَ أَوْ قَدْتُ وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ بِأَكْلِبِ الْمَجْلِسُ

وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِمَا لَمْ يَنْبَسُوا

وَإِذَا تَشَاءُ رَأَيْتُ وَجْهًا وَاضِحًا وَذِرَاعَ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا بُرْسُ

تُبْكِي عَلَيْكَ وَكُنْتُ لَأَتَمَّ حُرَّةً تَأْسَى عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ وَتَنْفَسُ" (٢٠) .

وهي قطعة باقية من قصيدة غير التي أذكرها الأصمعي فيما سبق ، أثرها أبو تمام ، واقتصر عليها طلال حرب (٢١) ، وعثرَ

لها أنطوان القوالب ، بزيادة هذين البيتين بعد الثاني ، في "مجالس ثعلب" :

"أَبْنِي رِبْعَةً مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ أَمْ مَنْ يَرُدُّ عَلَى الضَّرْبِ وَيَحْبِسُ

وَتَكْفُفَ الصُّطُوكُ بَعْدَكَ أَمَّهُ لَمَّا اسْتَعَالَ وَقَالَ أَنِّي الْمَجْلِسُ" (٢٢) .

وما ديوان الحماسة إلا مختارات أبي تمام من الشعر العربي القديم ، التي اتدب أبو علي المرزوقي إلى شرحها ، فاقضته أن ينبه من يشرحها له ، على العمود الذي به هُضَ ذلك الشعرُ من سائر الكلام واختيرت تلك المختارات من سائر القصائد ، كالعمود الذي به تهض الحيمة من سائر الأرض وتؤثر من سائر المنازل ؛ فكانت "جَزَالَةُ اللَّفْظِ" شطرَ الباب الثاني من سبعة أبواب هي ذلك العمود (٢٣) .

ولم يختص المرزوقي بذكر "جَزَالَةِ اللَّفْظِ" ؛ فقد ذكرها قبله الجاحظ (٢٤) ، وثعلب (٢٥) ، والأصفهاني (٢٦) ، والآمدي (٢٧) ، والمعنزي (٢٨) ، والعسكري (٢٩) ، وغيرهم ، ولكنه اختص بإيرادها على النحو السابق ، في أبواب عمود الشعر العربي القديم .

[٧] وَالْإِجْرَالُ فِي لَفْظِنَا عَكْسُ الْإِرْكَاكِ (٣٠) الذي هو "إِرْقَاقُ السَّخِيفِ" الذي هو أحد دَلَالَتِي "الْمُهْلَةِ" كما سبق : "رَكَّ

الشَّيْءُ أَنْ يَرَقَّ وَضَعَفَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَقْطَعُهُ مِنْ حَيْثُ رَكَّ ، وَالْعَامَةُ قَوْلُ : مِنْ حَيْثُ رَقَّ ، وَثَوْبٌ رَكِيكٌ النَّسِجُ" (٣١) ولولا

قِرابَةُ "رَقَّ" مِنْ "رَكَّ" وَزَنَا وَمَعْنَى ، وَالْقَافُ مِنَ الْكَافِ ، مَخْرَجًا وَصَفَةً ، مَا التَّبَسَّ الْفَعْلَانِ ، وَهُوَ مَا يُوحِي بِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِمَا مِنْ

جنس واحد ؛ فمن ثم يكون الإجزال هو " إِرْقَاقُ التَّخْفِيفِ " الذي هو دَلَالَةُ الهلهلة الأخرى ، لا " الإِعْلَاطُ " الذي هو عَكْسُ " الإِرْقَاقِ " ؛ إذ هذا من الْعَدْحِ ، وذلك من الْمَدْحِ ، وقد يما قال الجاحظ ففصل : " من الكلام الْجَزْلُ والسَّخِيفُ " (٣٢) .

من ثم تقع هلهلة مهلهل لشعره عند خصومه وأصحابه ، التي جنى عليه وحده فيها ، لقَبه الذي اختص به من سائر الشعراء (٣٣) - بين الإجزال والإركاك اللذين وقع بينهما عمل سائر الشعراء القدماء ؛ فمن قدح فيه بها فقد عدّها من الإركاك ، ومن مدحه بها فقد عدّها من الإجزال .

[٨] وعلى رغم ذلك الإبراد الطرف ، ترك المرزوقي شرح " جزالة اللفظ " - ومثلها سائر أبواب العمود - إلى إيجاز قول فيما رآه عيار الباب (معياره) : " عيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال ؛ فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملته مراعى ، لأن اللفظة تستكرم باقترادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا " (٣٤) ؛ فأضاف ما يحتاج إلى شرح آخر !

ولولا انصراف كلام الجرجاني إلى قد مقالة المُتَرَتِّبِ وأستاذه أبي هاشم الجَبَانِي ، لجاز أن يكون أراد المرزوقي بقوله " لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه ، ويكلم به بعضهم بعضا ، من غير أن يعرفوا له معنى ، ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم ، إن يسألوا عنه ، بيان وتفسير - إلا (علم الفصاحة) ؛ فإنك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم أفاظا للقدماء وعبارات ، من غير أن يعرفوا لها معنى أصلا ، أو يستطيعوا - إن يسألوا عنها - أن يذكروا لها تفسيراً يصح . فمن أقرب ذلك ، أنك تراهم يقولون إذا هم تكلموا في مزنة كلام على كلام : (إن ذلك يكون بجزالة اللفظ) ... ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة بشيء " (٣٥) .

[٩] لا مُشَاحَة لدى الجرجاني في استعمال المحدثين لجزالة اللفظ ، مصطلح القدماء - وأولى منه ألا مشاحة لديه في استعمال الجزالة اصطلاحا ، جنسا لمزنة اللفظ (٣٦) - ولكن المشاحة الشديدة لديه في ألا يتحمل المحدثون تكاليف استعمال مصطلح القدماء ، الثلاثة :

* عَلِمَ معناه أي حَقِيقَتِهِ التي يُسأل عنها " بما ؟ " ،

* وَعَلِمَ غَرَضَهُ أي عِلَّةَ حَقِيقَتِهِ التي يسأل عنها " بِلِمَ ؟ " ،

* وعلم تفسيره أي تمثيل حقيقة الذي يسأل عنه " بكيف ؟ " .

أي في أن يجهلوا أمر تلك المرتبة :

أمرُ الجزالة		
علم معناها (ما هي ؟)	علم غرضها (لم هي ؟)	علم تفسيرها (كيف هي ؟)

والا وجب ألا يستعملوا مصطلحها ؛ فقد صار أحد الرموز إلى حياتنا الثقافية الساجدة ، التي تؤدي قهها إلى قته مسيرتنا ثقافية إلى المستقبل (٣٧) .

[١٠] لا ريب في حداثة القديم في زمانه ، وقدامة الحديث بعد زمانه . ولكن لا ريب أيضا ، في انضباط كل منهما بالآخر ؛
للماء القرنين الهجريين الرابع والخامس جميعا - ومنهم المعزلي والمرزوقي كلاهما - قدماء لدينا أبناء القرنين الهجريين الرابع عشر
لخامس عشر ، محدثون لدى الجرجاني ابن القرن الهجري الخامس ، وعلماء القرون الهجرية الأولى والثاني والثالث ، قدماء لدى
لجرجاني بعيدو القدم لدينا ، وعلماء القرنين الهجريين الرابع عشر والخامس عشر ، محدثون لدينا غائبون لدى الجرجاني .
من ثم ينبغي لنا في أمر الجزالة والركالة :

- أولا : أن نبحثه عند القدماء لدى الجرجاني البعدي القدم لدينا ، ولا سيما ما استوعبه هو عنهم .
- ثانيا : أن نبحثه عند من استوعبه من المحدثين لديه القدماء لدينا والمحدثين لدينا الغائبين لديه جميعا معا .
- ثالثا : أن نبحثه عند من لم يستوعبه من المحدثين لديه القدماء لدينا والمحدثين لدينا الغائبين لديه جميعا معا .
- حتى إذا ما انجلى أمرهما انجلى أمر الهلهلة .

الجزالة والركاة عند القدماء

[١١] مر في قد الجرجاني لاستعمال المحدثين لمصطلح القدماء ، من دون أن يحملوا تكاليفه ، أن "جزالة اللفظ" عنده ، من "علم الفصاحة" ، وهو قد كان قال هذه الكلمة العامة التي أراد بها أن يخرج من أصل عنده : "ليس لنا - إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة - مع معاني الكلم المفردة شغل ، ولا هي منا بسبيل ، وإنما نعمل إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب" (٣٨) ؛ فقد كان يرى علوم البلاغة علما واحدا ، وإن كان واضح نظريتي علمي المعاني والبيان (٣٩) .

إن الجزالة والركاة عند الجرجاني إذن ، من صفات النظم الذي هو "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ؛ فلا تترنح عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت ؛ فلا تخل بشيء منها" (٤٠) ، وما الجزالة والركاة إلا غطان من صواب النظم ومن خطئه اللذين أشار إليهما بقوله : "لست بواجد شيئا يرجع صوابه - إن كان صوابا - وخطؤه - إن كان خطأ - إلى (النظم) ، ويدخل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له" (٤١) ، وليست الجزالة والركاة نمطين من صواب الإعراب ومن خطئه اللذين أشار إليهما بقوله : "لسنا في ذكر تقييد اللسان والتحرز من اللحن وزنج الإعراب ؛ فنعمد بمثل هذا الصواب . وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ، ودقائق يوصل إليها بتأقّب الفهم ؛ فليس درك الصواب دركا حتى يشرف موضعه ، ويصعب الوصول إليه ، وكذلك لا يكون ترك الخطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه إلى لطف نظر ، وفضل رؤية ، وقوة ذهن ، وشدة تيقظ" (٤٢) .

ولن في استعماله مصطلح "الكلام الخاص" بدلا من مصطلح "اللفظ العام الواقع في كلام المرزوقي وغيره ، لحرصا على بيان انصراف صفات النظم ومنها الجزالة والركاة ، إلى الكلم المجتمعة لا المنفردات ، ودرءا لشبهة انفصال اللفظ من المعنى (٤٣) ، ولا سيما أنني عثرت بمن وصف المعنى بالجزالة والركاة ، كما وصف اللفظ (٤٤) .

[١٢] قى الجرجاني في أول كتابه أن يكتمى في الفصاحة بأنها "خصوصية في النظم" (٤٥) ؛ فدل على أنها - ومنها لديه الجزالة والركاة - هي تلك .

إن الجزالة ، في أصل لغتنا ، القوة ، والجزل القوي ، وإن الرككة الضعف ، والركيك الضعيف . وصفت العربُ بذلك العقلَ والرأيَ والجسمَ والكلامَ (٤٦) ، بل وقع في خصوص من كلامها بحيث احتمل أن يكون وصفا لها كلها جميعا معا : " في حديث موعظة النساء : قالت امرأة منهن جزلة أي ثامة الخلق . قال : ويميز أن تكون ذات كلام جزل أي قوي شديد " (٤٧) ، وفي أخبار وفود عبد الله بن أبي مقل على مصعب بن عمير ، أن مصعبا لم قوره على غزوة زرج (قصبة سجستان) ، حتى " أعجبته قوله وجزأته " (٤٨) ، وليس يمتنع بل يحسن أن يكون أراد قوة عقله ورأيه وجسمه وكلامه جميعا معا ؛ فيكون خروجها كلها لديهم من أصل واحد .

من ثم تكون جزالة الكلام عند الجرجاني ، قوة نظمه ، و رككته ضعفه ، ثم هما حين تصبيان الكلام تصبيان عقل المتكلم ورأيه وجسمه جميعا معا ، ولكن لهذا حديثا آخر .

ولقد فصلَ الجرجاني أمر النظم عقب تعريفه السابق له ، بذكره أعمال الناظم قائلا : " لا نعلم شيئا يتغيه الناظم بنظمه ، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ؛ فينظر في (الخبر) إلى 'لوجوه التي تراها في قولك : (زيد منطلق) ، (زيد يتطلق) ، (يتطلق زيد) ، (منطلق زيد) ، (زيد منطلق) ، (المتطلق زيد) ، (زيد هو المتطلق) ، (زيد هو منطلق) ، وفي (الشرط والجزاء) ... ، وفي الحال ... ، وينظر في (الحروف) ... ، وينظر في (الجمل) ... ، وينصرف في (التعرف) ، (التنكير) ، (التقديم) ، (التأخير) ، في الكلام كله ، وفي (الحذف) ، (التكرار) ، (الإضمار) ، (الإظهار) ؛ فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له . هذا هو السبيل " (٤٩) .

[١٣] إنا إذا اجتزأنا بالنظر فيما فصله وقلناه من أعمال الناظم باب (الخبر) ، وجدناها على أربعة أقسام متكاملة ، لا نستطيع أن نضبط زمان بدته أي منها ولا زمان ختمه ؛ إذ ربما تجمعت عليه هي كلها أو بعضها ، وربما تفرقت :

أولها الإبدال ؛ فليس إشار الناظم في المسند أن يكون مفردا " منطلق " ، أو جملة " ينطلق ، هو ينطلق " ، ونكرة " منطلق " ، أو معرفة " المنطلق " - وفي الجملة أن تكون اسمية " زيد منطلق ، زيد ينطلق " ، أو فعلية " ينطلق زيد " ، إلا إبدال المناسب من غير المناسب .

وثانيها الترتيب ؛ فليس إيتار الناظم في المسند أن يتأخر عن المسند إليه " زيد منطلق ، زيد ينطلق " ، أو أن يقدم عليه " منطلق زيد ، ينطلق زيد " ، إلا ترتيب موقع كل منهما المناسب ، من الآخر .

وثالثها الحذف ، وآخرها الإضافة ؛ فليس إيتار الناظم في المبدأ والخبر المرقين ، أن يتصلا " زيد المنطلق " - وهو منهم من " المنطلق زيد " - أو أن ينصلا " زيد هو المنطلق " ، إلا حذف التير المناسب ، أو إضافة المناسب .

ولا يخفى التباس الإبدال بغيره من أقسام الأعمال ، في بعض ما فيها ؛ إذ كل تغيير على وجه العموم ، إبدال . ثم إن في آخر نص الجرجاني السابق ، بآنا آخر ؛ فما إيتار التعرف أو التكرار والإضمار أو الإظهار ، إلا الإبدال ، ولا إيتار التقديم أو التأخير ، إلا الترتيب ، ولا إيتار التكرار من الحذف ، إلا الإضافة .

ولقد مضى يفسر أعمال الناظمين ، ويختبرها بموازنة كلامهم بعضه بعض ، أو بتغيير نظم كلامهم ، وموازنة حاله الأخرى بحاله الأولى ، غير متخرج من كلام الله ؛ فله كان كتابه : " مما هو بلك المنزل في أنك تجد المعنى لا يستقيم إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم قوله - تعالى ! - : (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ، وقوله - تعالى ! - : (وقالوا أناسيطر الأولين آكتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا) ، وقوله - تعالى ! - : (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) ؛ فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم ، قيل : (إن وليي الله الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين) ، و(آكتبها تملى عليه) ، و(حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فيوزعون) ، لوحد اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي أن يكون عليها " (٥٠) ، ولم يكن العمل الذي اختبره ، إلا الترتيب .

[١٤] وعلى ذلك نفسه يجري أمر الجزالة والركافة ، وأعمال المجزّل (صاحب الجزالة) والمركّ (صاحب الركافة) ؛ إذ يُبدلُ الكَلِمَ للجملة ، والجُمْلُ للفقرة ، والفَقْرُ للنص ، والنُصُوصُ للكتاب ، ويُرتَّبُها ، ويَحذفُها منها ، ويُضيفُها إليها - وهو مراد الجرجاني من قوله فيما سبق : " في الكلام كله " - حتى يستقرغا وتُسَمَّعا ، وينفُضا أيديهما من الكلام كله ، فإن خرج قويّ النظم ، كالحليل المشدود ، لا يتيح لمُسَوِّعِهِ أن يقول : لو كان كذا مكان كذا لكان أفضل ، كان جزلا ، وإن خرج ضعيف النظم ، كالحليل المُرْخى ، يتيح لمُسَوِّعِهِ أن يقول ذلك ، كان ركيكا ، وإن غالى المجزّل عاظَلْ أي أدخل الكلام بعضه في بعضه (٥١) ،

والمُعَاظَلَةُ رَكَكَةً ، وإن غالى المَرْكُ خَلَعَ أي فك بعضه من بعضه (٥٢) ، والتَّخْلِيْعُ رَكَكَةً (٥٣)؛ فالمعالة - مهما تكن - إفسادٌ ، وفيما يأتي في الفقرة الحادية والعشرين ، بيان آخر .

وآية ذلك اختباره بما اختبر به الجرجاني أعمال الناطقين : موازنة ظلمه بنظم كلام آخر مثله ، أو تغيير ظلمه وموازنة حاله الأخرى بحاله الأولى ، والأوَّلُ أوَّلُ وأَقْدُ اختَبَاراً ؛ فلن يحلوا الآخر من التكلف (٥٤) .

ذلك أمر الجنالة والرَكَكَة عند القدماء معنى وغرضاً وتفسيراً ، كما أراد الجرجاني للمحدثين أن يعلموا : صفةٌ نحويةٌ تَسْتَبِيهُمُ على من يستوضحها في غير نحو الكلام (٥٥) ، تميز بها الشعر العربي القديم كما نبه المرزوقي فيما ذكره ولم يشرحه من أبواب عموده ، وما أشبه ذلك الشعر ، ولم يميز بها سائر الكلام العربي ؛ " فمنَ الكلامِ الجَزَلُ والسَّخِيفُ ، والمَلِيحُ والحَسَنُ ، والقَبِيحُ والسَّمُجُ ، والحَفِيفُ والتَّعِيلُ ، وكُلُّهُ عَرَبِيٌّ " (٥٦) ؛ إذ من الكلام ما يخرج به الرِّثْثُ والهُدَاهُ والتَّهْذِيبُ ، ككلام المكاتبة - وهي في شعراء العرب من قديم - ومنه ما يخرج به العَجَلَةُ والثُّورَةُ والإِفْهَالُ ، ككلام المشافهة ، والجنالة أَعْلَقُ بِالْأَوَّلَيْنِ ، والرَكَكَة أَعْلَقُ بِالْآخَرَيْنِ ، ولن يَسَاوَى ظِلْمَا الْكَلَامَيْنِ ، ولا أَعْمَالُ النَّاطِلَيْنِ (٥٧) .

[١٥] ولقد صارت منزلة الجنالة من الشعر العربي القديم ، وسيلة إلى تمييزه من غيره ، ومن المحمول عليه المنحول إليه . روى الأصفهاني عن ابن الكلبي عن بعض بني الحارث بن كعب ، خبر اجتماع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بأمية بن الأسكر وابنه في عكاظ قبيل الإسلام أو في أوله ، وفيه شعر ، ثم قال : " هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر رَكِيكٌ غث لا يشبه أشعار القوم ، وإنما ذكرته لئلا يحلوا الكتاب من شيء قد روي " (٥٨) ؛ فنزف الخبر بنزيف شعره برَكَكَة ، وثمره بتوليد أحداثه .

الجزالة والركاكة عند المحدثين المستوعبين

من المحدثين قلة استوعبت من أمر الجزالة عند القدماء ومثزلتها من الشعر العربي القديم ، ما استوعبه عبد القاهر الجرجاني فيما سبق ، كالحسن بن رشيق القيرواني ، وحازم القرطاجني ، و الدكتور عبد العزيز الأمواني ، والدكتور محمد المهدي الطرابلسي .

[١٦] أما ابن رشيق فقد دل على ذلك قوله : " العرب لا تنظر في أغطاف شعرها بأن تُجسَّسَ أو تُطابَّقَ أو تُقَابِلَ ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإقناع بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض ، حتى عدوا من فضل صنعة الخطبة ، حُسْنَ نَسْقِهِ الكلامَ بعضه على بعض في قوله :

فلا وأبيك ما ظلمت قريح بأن ينوا المكارم حيث شافوا
ولا وأبيك ما ظلمت قريح ولا يرموا لذاك ولا أسأوا ...

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد :

فوردن والقيوق مَقْدَرِ رابن الضرماء خلف النجم لا يتلَّع
فَكَرَّغْنَ في حجرات عذب بارد حصب البطاح تَبَّيْ فيه الأكرع ...

فأنت ترى هذا النسق بإلقاء كيف اطرد له ، ولم ينحل عقده ، ولا اختل بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لما تمكن له هذا التمكن " (٥٩) .

إنه عالم ناقد وفنان شاعر ، لم ينب عنه تمسك معاصره بالبدع دون القدماء ، حتى ليتركون له قصداً أفعالا من الجزالة ، وتمسك القدماء بالجزالة دون معاصره ، حتى ليتركون له عفواً أفعالا من البدع . ثم هو يخوض في القدماء لما كان في حديثهم ؛ فيذكر حسن عطف الخطبة بالواو جُمْلَ البيت الثاني " ما ظلمت قريح " ، و " لا يرموا لذاك " ، و " لا أسأوا " ، على جملة البيت الأول " ما ظلمت قريح ... شافوا " ، وحسن عطف أبي ذؤيب بإلقاء جملة البيت الثاني ، على جملة البيت الأول ،

وكلاهما مبسوطان على أرجاء بينهما ، بأجزاء مختلفة مؤلفة معا ، دون أن يبدأ الأول بمجدو أولى المعطوفات على المعطوفة عليها ، أو يتحرى الآخر قياس المعطوفة على المعطوفة عليها .

ولكنه يجد في معاصره من يذهب إلى الجزالة مذهب القدماء ؛ فيتأمل شعرهم ؛ فيجده على ثلاثة أصناف :

وصف يتخذ للجزالة الألفاظ المصونة ، في موقعها ، ومنه شعر بشار ، كقوله :

" إذا ما غضبنا غضبة مضرية فكما حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعزنا سيذا من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلمنا " (٦٠) .

وصف يتخذ للجزالة الألفاظ المصونة ، في غير موقعها ، ومنه شعر ابن هانئ ، كقوله :

" أصاحت فقالت وقع أجرد شيطم وشامت فقالت لنم أبض مخدّم

وما دُعرت إلا لجرس حلّيتها ولا رمقت إلا برى في مخدّم " (٦١) .

وصف يتخذ للجزالة الألفاظ المبدولة ، في موقعها ، ومنه شعر أبي العتاهية ، كقوله :

" يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الأكلان من عاجل

ولا تلموا في اتباع الهوى فإنني في شغل شاغل

عيني على غيبة منهلة بدفعها التمسك السائل

يا من رأى قبلي قبلا بكى من شدة الوجد على القاتل

بسطت كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

لئن لم تيسلوه فقولوا له قولا جميلا بدل النائل

أو كلتم العام على عسرة منه فمخوه إلى قابل " (٦٢) .

لم يحب ابن رشيق إلا الثاني ، قائلا : " فرقة أصحاب قنعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر . . . وليس تحت هذا كله إلا

مساد " (٦٣) - وكانني بالمعري يقول في ابن هانئ نفسه : " رعى قطن قرونا " ! - ولكنه لم ينه من مذهب الجزالة .

قد أفسد ابن هانئ على شعره جزاله ، وأُحْتَقَ ابنُ رَشِيقٍ ، بما تَعَدَّدَ فيه من الإِغْرَابِ ، وَنَكَبُهُ أُنْى كان في النزل الذي تُخَيَّرُ فيه أَواسِرُ الألفاظ لأَواسِرِ الخلق !

قال ابن رشيقي فيما قبل ذلك من كتابه : " ليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً مفسفاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ، ولا أعرابياً جافياً ، ولكن حال بين حالين . ولم يقدم امرؤ القيس والناجعة والأعشى إلا بجلالة الكلام وطلالوته ، مع البعد من السخف والركاكة " (٦٤) ؛ فدل على التقاء الرقة والجزالة معا في منزلة وَسَطٍ ، وهو ما سبق أن رأيناه في ترفيق التخفيف ، وعلى التقاء الرقة والركاكة معا في منزلة طَرَفٍ ، وهو ما سبق أن رأيناه في ترفيق السخيف .

[١٧] وأما حازم القرطاجني ، فقد دل على استيعابه أمر الجزالة عند القدماء ، قوله في عقب دلالته معاصره الشاعر الذي لم يحش زمان عِزَّةِ العربية ، على طرق العلم بتحسين هيآت العبارات والتأق في اختيار موادها وإجادة وضعها ورصفها : " قوة التهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة . . . والجزالة تكون بشدة التطالب بين كل كلمة وما يحاورها ويتقارب أنماط الكلم في الاستعمال . . . فهذه إشارة إلى ما يجب أن يتقده الناظم وبلغت إليه ، على قدر قوته ، من الجهات التي تحسن منها العبارات أو تقيح ، قد أجملت الكلام فيها ، وجعلتها كالإحالة على ما قدَّمته " (٦٥) . وعلى " ما قدمته " علق المحقق قوله : " يظهر أن تفصيل ذلك كان في القسم الأول المفقود من هذا الكتاب " .

أما اتخاذ " شدة التطالب " سبيلاً إلى الجزالة ، فسد يد جداً ؛ فما هي إلا أن يحرص الشاعر في خلال إبداله وترتيبه وحذفه وإضافته ، على اختيار المتناسب المتماusk ، الذي يخرج - وهذا معنى عربي قديم سبق في الفقرة الثانية عشرة ذكره - كجسمه " في صفة النبي - صلى الله عليه ، وسلم ! - : بادن متماusk ؛ أراد أنه مع بدائه متماusk اللحم ليس بمسترخيه ولا منفضحه ، أي أنه معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضاً " (٦٦) .

وأما " تقارب أنماط الكلم في الاستعمال " ، فقد سبق له أن زاده بياناً في خلال حديثه عن تلازم الكلام الذي وقع على أنحاء ، قائلاً : " منها ألا تتفاوت الكلم الموزونة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشية " (٦٧) ؛ فلم يُعَدُّ ما أُحْتَقَ ابن رشيقي على ابن هانئ ، إلا أن ما وقع في غير موقعه ، هو بعضُ الكلام دون بعضٍ عنده ، وهو الكلام كله عند ابن رشيقي ، وكلاهما يفسد على الشعر جزاله ، ولا ينبغيها ، وإن كان ما نبه عليه حازم أشد إفساداً ؛ فإن الناس يتفاوتون في رؤية

الكلام واقعا كله في غير موقعه ، على حسب أعرافهم ؛ " فإن الرّوحشّي من الكلام فهمه الرّوحشّي من الناس ، كما فهم السوقي رطانة السوقي " (٦٨) ، فأما أن يخرج مُلْتَمًا بعضه من وادٍ وبعضه من آخر ، فَمِمَّا يُتَكَنَّهُ به (٦٩) !

وفيما ذكره الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة " ، من " رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شُرْكٍ من المعنى فيه ، وكونه من أسبابه ودواعيه " (٧٠) ، إشارة إلى " قارب أنماط الكلام في الاستعمال " ، تؤيد رأبي السابق ؛ إذ لم تجز فيه عنده لا جزالة ولا ركاة !

[٦٨] وأما الأهواني فقد دل على استيعابه أمر الجزالة عند القدماء ، ومنزلتها من الشعر العربي القديم ، استيعابه لأمر الركاة ومنزلتها من شعر ابن سناء الملك .

لقد فلسف الظاهرة بقوله : " إن الركاة في الأساليب أثر من آثار الازدواج اللغوي بغير شك . وينبغي أن ترق بين الركاة وبين العامية ، وأن ترق بينها أيضا وبين السهولة ؛ إذ إن الركاة تنشأ عن عدم تمكن الأديب من اللغة التي يكتب بها ، لاقتراره إلى معرفة أصولها ، وإدراك أسرارها ، ولقلة بصره بالفروق الدقيقة بين دلائل المفردات ومعاني التراكيب ومناسبات الجمل وروابطها . إن ما نسميه بالركاة ليس بشرط أن يكون خطأ في نحو اللغة واستعمال مفرداتها فيما وضعت له ، وإنما هو في العجز عن التصرف باللغة بحيث تؤدي الأفكار وتعبّر عن الإحساس تعبيرا مرهفا ، وبحيث يكون تأليفها محكما متينا ، وظلها متساوقا ومنسجما . إن المثل الواقعي للركاة هو ما يحسه ابن اللغة فيمن يكتب أو يتكلم بلغته من أبناء اللغات الأجنبية ، حين يكون هذا الأجنبي قد درس اللغة بعيدا عن وطنها الأصلي . والركاة بهذا المعنى لا يحسها إلا من كان حظه من إتقان اللغة عظيما ، بأن يكون قد ولد في بيئة تتكلمها أو يكون قد طالت قراءته لنصوصها الممتازة . فإن استطاع الجمع بين الأمرين ، وكان ذا موهبة لغوية وذوق وحس في التفريق بين جرس الكلمات وتنغيم الجمل وموسيقية العبارات كان الحكم الأول في القضية . . . فالعامية لغة مستقلة لها أساليبها وألفاظها ولها بلاغتها كما أدرك ذلك ابن خلدون قديما . فإن تسربت العامية إلى اللغة المعربة تسرعا غير طبيعي ، منشؤه ضعف شاعر العربية ، حدثت الركاة . . . على أن الركاة في الشعر لا تجيء دائما من الضعف اللغوي ومن جهل أساليب العربية وضعف التمييز بين الجيد والردى منها . وإنما تجيء أحيانا من ضعف الحس الموسيقي عند الشاعر ؛ فالجزالة ذوق ومعرفة باللغة معا . والتقصي

يثبت أن حظ المتأخرين منها كان أقل من حظ المتقدمين من الشعراء ، ولعل ابن سناء الملك يعتبر خيرا من كثير من معاصريه والتابعين له فيما ينصل بالجزالة " (٧١) .

ما وجوه التصرف باللغة بحيث يخرج التعبير مرهفاً ومبنيًا ومنسجماً ، إلا أقسام أعمال الناظم التي استبطنها من ض الجرجاني ، وأجرنا عليها أعمال المجزل والبرك ، وما العجز عن تلك الوجوه إلا الركافة ، ولا القدرة عليها إلا الجزالة .

وليس الحسن الموسيقي الذي جعل العجز عنه ركافة والقدرة عليه جزالة ، وجها من تلك الوجوه ، بل اختباراً من اختباراتها ؛ فاللغة أصواتٌ تولف متفرقةً ومجمعةٌ كلماتٍ وحملًا وقترًا ونصوصًا ؛ فإذا مرَّ المتكلم في التعبير إبدالا وترتيا وحذفاً وإضافةً ، ساعده إله على إصابة ما يأخذ وما يترك فيجزل إذا كان أف المجزل ، أو ساعد ناقده على تخطئه فيما أخذ وما ترك فأرك إذا كان أف الركيك . ولا يعترض على ذلك بأنه كاتب ؛ فإنما اللغة المتطوقة ، ثم إن الكاتب يقرأ على أذنه ما كتب على ورقه ، ليستفيد مساعدة ذلك الحسن الموسيقي ، وهي وصية أبي تمام للميزه البحتري من قديم (٧٢) .

ولقد ألقى الأهواني كلمته في اختلاف الركافة والسهولة (الوضوح) ، ومضى دون أن يزيد ما بآنا . وإنها لكلمة سديدة جداً ؛ إذ تعلق السهولة بقوة النظم (جزالة) التي تعلق مستوعبة بدقائق كل عمل من أعماله ، لا بضعفه (ركافة) التي تروق استيعابه . وسيأتي لهذه المسألة في الفقرة الحادية والعشرين ، مزيد بيان .

أما تسرب كلام اللهجة إلى كلام اللغة ، فمما يفسد على الشعر جزاله - وإن لم ينفها - ويدعوه سُخْرَةُ الْمُتَمَكِّلِينَ ؛ إذ هو من عدم " تقارب الكلم في الاستعمال " الذي عابه القرطاجني ، ومن عدم وقوع الكلم في مواقعها ، الذي أحق ابن رشيق على ابن هانئ . ولقد كان من آثار اشتغال ابن سناء الملك بشعر اللهجة ، أن " غلب على نظمه في القرض (شعر الله) استعمال اللفظ العامي ، وفساد المعنى ، واختلاف تركيبه ، حتى أخرجوا له من ذلك وما لا يجوز استعماله في العربية ، قدرا كبيرا " (٧٣) .

ولقد رأى الأهواني في غلبة المنطق النحوي على نظم الكلام لافتقار سليقة اللغة والف قراءة الكتابات النثرية في العلوم الإسلامية واللغوية المدرسية وما أشبهها ثم الاشتغال بها - سر ركافة شعر المتأخرين (٧٤) ، الذين رأى فيما سبق ، أن القصي يثبت أن حظهم من الجزالة كان أقل من حظ المتقدمين . وعلى رغم أن ابن سناء الملك خيرُ حظاً عنده من كثير من معاصريه وتابعيه ، لم يستطع أن يكمن من الركافة ، ما تجلى له في قوله :

"صَحَّ مِنْ دَهْرِنَا وَفَاءُ الْحَيَاءِ فليُطْلَ مِنْكَ الْوَفَاءُ
وَلِيْنِ مَا عَقْدَمَاءُ مِنَ الصَّبْرِ بَانَ تَحْلًا وَكَاءُ الْبِكَاءِ
وَأَمِينَا لِلدَّمُوعِ سَكْبًا وَهَبَا أَنْهَنْ مِثْلَ الْهَبَاءِ
وَامْتَحَا النَّوْمَ كُلَّ صَبٍّ يَأْدِي مَنْ يُعِيرُ الْكَرَى وَلَوْ بِالْكَرَاءِ

ليست العينُ منكما لي عينٍ أوتعاني حملاً لبعض غناني " (٧٥) .

قد أفسد ظهما بما التزم في جملها وفي روابط جملها : من تكرار التركيب الإضافي نفسه ثلاث مرات مقاربات " وفاة الحياء ، بكاء الوفاء ، وكاء البكاء " - ومن تكرار تركيب الجار والجرور نفسه مرتين متشابهتين " منكما ، منكما " - ومن قبح قوله " ولين ما ... بَانَ تَحْلًا " ، و" وهبا أنهن مثل الهباء " ، دون أن يبين وجه القبح . والحقيقة أن ما قدمه في غلبة المنطق النحوي ، بأن جلي لسر قبح الأبيات كلها ؛ فما هي إلا تراكب قضائية صاغها قاض لم ير المفضي عليه لكيلا تشوب قضاه شبهة عطف عليه ! وقد أحتمه تمسك ابن سناء بالبدع الذي لم يرينا هنا من قبل ؛ فزمانه زمانه .

[١٩] أما الطرابلسي فقد دل على استيعابه أمر الجنالة عند القدماء ، ومنزلتها من الشعر العربي القديم ، استيعابه لمنزلتها من شعر أحمد شوقي ، ولدخل الركاكة إليه .

قد اعتذر عن إخلاله بمقتضى طبيعة مجته الوصفي التفسيري التي لاتناسبها الأحكام المعيارية ، بحجزه عن كمان ما وجد في تماير شوقي ، من جنالة ومن ركاكة .

قد دعا الجنالة " قريحة " ، ولم يُطْلَ حديثها ؛ فشوقي مشهور بها " لا يعدم الناظر في قصيدة من قصائده أثر الثقافة المتينة والفن الخلاق " (٧٦) ، وإن فسرها باعتداده التصوير ، كما في قوله :

تَسْمَعُ الْأَرْضُ قِصْرًا حِينَ تَدْعُو وَعَقِيمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرِ الدُّعَاءِ

الذي صور فيه شوقي الدعاء الذي ليس وراءه خير بالدعاء العقيم ؛ ففيه الطرابلسي على أن مثل هذا التصوير هو الذي حمى جنالة تمايره الغالبة (٧٧) ، وهو فهم طريف ؛ إذ لولا الوصف بالعقم وقدميه وتأخير الدعاء إلى القافية وتعليقه به ، لاضطرب تركيبُ عَجَزِ هذا البيت . وما تلك إلا الإبدال والترتيب من أعمال الناطم المجَزَل .

ودعا الرككة " مَقْبَعَة " وأطال الحديث فيها لأنها " عوارض نادرة كالشدوذ الذي يؤكد القاعدة ، يدرس لتوثيق المعرفة بالقاعدة لابه " (٧٨) ، وفسرها بإفاته حتى بعض قيود الكلام ، كما في قوله :

قَذَاهُ تَخْشَى مُهْجَةُ الشَّمْسِ كُلَّمَا خَلَتْ مُصْعِدَاتُهَا لَا تُصَوِّتُ

الذي أراد فيه وصف القذائف بقوة الانفجار وارتفاع المدى ، حتى لن الشمس لتخشى أن تصيبها إذا أخطأت مرماها ؛ فضاقت فسحة البيت عما أراد .

وكما في قوله :

وَدَلَنِي الْهُوَى مَا شَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَرْضُ وَالْأَرْضُ تَعْرُبُ

الذي أراد فيه فكرة تقارب الحبيين روحا ومكانا ، بانطواء الأرض الفاصلة بينهما ؛ فلم تمكه القافية . وما تلك إلا الإبدال والحذف من أعمال الناظم المرك .

ثم قال : " إن تاير شوقي لم تغل من سوء ، ولكننا هر - مع ذلك - أن ظاهرة سوء التعبير ليست شائعة في (الشوقيات) بالقدر الذي يضعف قيمة أشعارها ؛ فقد بقيت تاير الشاعر محفظة بجزالتها في الجملة ، وبقيت تمثل في نظرها عاملا قويا من العوامل الضامنة لوصول رسالة الشاعر إلى القارئ ، ومن وسائل التعجيل بإيصالها ، وإن لم تسلم أحيانا في قنوات الإبلاغ ، من العوارض التي تغير وجهة الرسالة " (٧٩) .

لكن الطرابلسي بدراسته للشوقيات بعدما تقدم من دراسة الأهواني للسنايات ، يُنَجِّسُ السَّيِّئَ الْحَسَنَ ، ويدل على من أخذ الشعر بحقه ؛ فردّه سيرته الأولى ، بعدما حيد به عن جاذبتها .

وقد نبه أخيرا هنا ، على تعلق السهولة (الوضوح) بالجزالة ، على ما سبق أن استنبطنا من كلام الأهواني الذي سيأتي له في الفقرة الحادية والعشرين ، مزيد بيان ، لم يمنعه من ذلك أن تجزل الكلام (نسبه إلى الجزالة ، وهو غير الإجزال الذي هو اتباع الجزالة) ، وترجكة (نسبه إلى الرككة ، وهو غير الإركك الذي هو اتباع الرككة) ، حكمان مغياريان - سبق أنهما عند الجرجاني ، من صواب النظم ومن خطئه - وعيا منه لقيمة هذا النمط من الأحكام ولزومه لكل ناظر في الكلام .

الجزالة والرككة عند المحدثين الغير المستوعين

ومن المحدثين كذلك ، كثر لم تسرع من أمر الجزالة عند القدماء ولا منزلتها من الشعر العربي القديم ، ما استوعبه عبد القاهر فيما سبق ، تستعصي على المحاوره أسماؤهم ؛ تجسمهم فيما يأتي دعاوهم .

[٢٠] الدعوى الأولى : أَنَّ الجزالة والرككة من صفات الكلمة المنفردة .

وهي دعوى ينبغي ألا قف عندها طويلا ، بعد أن جعلها الجرجاني من مسائله المهمة التي أدار عليها دلائله ، واستخرج في تنقيدها وسنعه ، وقال فيها أصله السابق ذكره : " ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة ، مع معاني الكلام المفردة شغل ، ولا هي منا بسبيل ، وإنما نعد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب " (٨٠) .

إن المتأمل ليطلع على أَنَّ من المحدثين ، من علق الكلمة بالكلام ، من حيث لا وجود له إلا بها ؛ قضى بوجوب فصاحة الكلمات المفردة " لأنها أجزاء الكلام ؛ تعين أن تكون الأجزاء فصيحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً " (٨١) ، وربما كانت هذه العبارة الأخيرة ، من جري ابن عاشور في مضمار قول المرزوقي السابق ذكره : " عيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال ؛ فما سلم بما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملة مراعى ، لأن اللفظة تسكروم بافرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا " (٨٢) ، الذي لم تسبغ أن يكون الجرجاني قد عناء بتنقيده ، ضمن ما فند ؛ إذ لا يتعلق بالكلمة المفردة إلا مقدار ما بين أصواتها من تألف وتخالف ، وصياغتها من بابها صوابا وخطأ ، ومقدار شياعها في الاستعمال أنسا ووحشة ، وهي كلها مسائل من غير سبيل نظم الكلام ولا جزاله ولا رككه .

ربما نهر الدعوى اتخاذ الفصاحة والبلاغة عند الجرجاني ، وانفصالهما عند غيره (٨٣) ، ووقوع الفصاحة عند غيره في الكلمة المفردة (٨٤) ، وهو ما اجتهد ابن عاشور في الجمع به بين مقالة الجرجاني في الفصاحة ومقالة غيره ، منتهيا إلى أن لا خلاف بين البلاغيين في أن الكلمات المنفردة تفاضل في فصاحتها ، وإنما اكتمى الساكنون عنها بمجصول الفصاحة للكلام على وجه العموم (٨٥) ، على حين نبه الجرجاني نفسه وكأنه يرى ابن عاشور من وراء تسعة قرون ، على أنه " ليس لهذا الخلاف ضرر علينا ، لأنه ليس بأكثر من أن نعد إلى (الفصاحة) ، فنخرجها من حيز (البلاغة والبيان) ، وأن تكون نظيرة لها ، وفي عداد ما هو شبيهها من البراعة والجزالة وأنشابه ذلك ، مما ينبئ عن شرف النظم ، وعن المزايا التي شرحت لك أمرها ، وأعلمك جنسها

- أو نجعلها اسما مشتركا وقع ثارة لما وقع له تلك ، وأخرى لما يرجع إلى سلامة اللفظ مما يتقل على اللسان . ليس واحد من الأمرين بقادح فيما نحن بصدده " (٨٦) .

لا أثر لذلك عند الجرجاني فيما أمه واشتغل به ؛ إذ قد حصر ممكن الإعجاز الذي هو بصدده ، في نظم الكلام الذي الجزالة من صفاته على النحو السابق تفصيله . ولكن على رغم هذا الحصر قال ابن عاشور فيما بعد ذلك من شرحه لكلام المرزوقي : " قد رأيتهم يبايرون الجزالة مرة بالركة ، ومرة بالرككة ، ومرة بالضعف ، ومرة بالكراهة ؛ فتحصل لنا من معنى الجزالة ، أنها كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ للكاتب أو الشاعر ، ألقاظا متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء ، سالمة من ضعف المعنى ، ومن أثر ضعف التفكير ، ومن الكلف ، وما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة أو الكلام " (٨٧) .

إنه لم يعد مقبولا مع قبح الجرجاني في المحدثين الذين يتداولون ما لم يستوعبوا ، أن نجتمع بين مقابلاتهم المضطربة ، لنستخرج معنى تمسك به . ولقد سبق في هذا البحث ويلحق ، قد لما كاف ؛ إذ إن اعتماد المقابلة وما إليها من وجوه الإبدال ، منهج شديد في نفسه ، بل هو عند الجرجاني كما سبق ، أحد أعمال الناظم ، وأحد اختبائي الناقد .

ولن نزال نجد مثل هذه العبارات الصريحة في نصر فكرة وصف الكلمة المنفردة بالجزالة أو الرككة ، ما بقي في المحدثين من يرى أن : " رككة الجزء رككة الكل " (٨٨) .

[٢١] الدَعْوَى الثانية : أَنَّ الجزالة ضِدُّ السُّهولةِ والِرِّقَةِ .

كانما أراد بعض العلماء القدماء أن يؤلف قلوب الخصوم من أصحاب جرير وأصحاب الفرزدق ، وأن يقي شر قنّة أطلت بفرنها ولست الأعمى ؛ فتكلف لكل صفة تميزه من الآخر ، وترضي أصحابه ، وأورثنا قنّة علمية مسخرة .

قال الأصمّهاني : " الفرزدق مُتَمَكِّنٌ على الشعراء الإسلاميين ، هو وجرير والأخطل ، ومحلّه في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول ، أو أن يدل على مكانه بوصف ، لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان قَدَمه بالخبر الشافع ، علما يستغنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا ، وتعصبوا واحتجوا ، بما لا مزيد عليه ، واختلفوا ، بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة ، في أنهم أحق بالتقديم على سائرهما ، فأما قدماء أهل العلم والرواية فلم يسووا بينهما وبين الأخطل ، لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه ، ولا تصرف كصرفهما في سائرهما ، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألقته

بهما - وهم في ذلك طبقان : أما من كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدة أسره ، فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السهل النزل ، فيقدم جريراً " (٨٩) .

أوائل الفتنة المتقاة بادية ، وصفات المدح المكثفة التضاد أو الاختلاف ، مُقَسَّمة بالعدل ، متى انتهتا إلى زيادة المعطوف من صفات الفرزدق ، لبيان المعطوف عليه ، وتفصيل المعطوف من صفات جرير المتعاطفة فيما بينهما ، لإجمال المعطوف عليه :

الفرزدق	جرير
جَزَالَة	سَمَاحَة
فَخَامَة	سُهولة
شِدَّةُ أَسْرٍ	غَزَلٌ

ليس في تشابه هذه الصفات المتواليات عند كل منهما ، غير إخلاص الجزالة للفرزدق الذي يفرح أصحابه بأنه لولا حنفته لذهب ثلث اللغة ، والسهولة لجرير الذي يفرح أصحابه بأنه لولا عفته لأبكى العجائز - ولا في اضطراب هذه الصفات المقابلات ، غير إصلاح ذات البين ، الذي يتحلى فيه من أصول كثيرة ، منها هنا مراعاة الاصطلاح والمقابلة العلميين (٩٠) !

قال المرزباني : " كان عامرٌ هذم جريراً ، ويخجُّ على الفرزدق بما عُدَّ فيه من شعره ، نحو قوله :

فَلَوْلَا أَنَّ أَمَّاكَ كَانَ عَمِي أَبَاهَا كُنْتُ أَخْرَسًا بِالنَّشِيدِ

ومثل قوله :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَوْ أَمَةٍ حَيٌّ أَبَوْهُ هَارِبُهُ

وأشبهه ذلك . فقال كردين : أنت يا أخي لا تعقل ، سقط الفرزدق شيءٌ يمنحن الرجال فيه عقولها حتى يستخرجوه ، وسقط

جرير عيٌّ ، نحو قوله :

والتغليُّ جنازةُ الشَّيْطَانِ " (٩١) .

لقد غال الفرزدق في الإجزال حتى عاظم ، مغاليات أولع بتقنيدها عليه ابن أبي إسحاق التحريري الإمام ، حتى هجاه الفرزدق واستقره إلى تأويلها ؛ فبدت لأصحابه من مفاخره ؛ قسمكوا بها على النحو السابق ، وهي - لو علموا - من نزغاته التي رغب

بعض الباحثين في دراستها دراسةً قسبة (٩٢) ، ولم يكن ينبغي للعلماء أن يحاملوهم بالسكوت على أنها من الإجزال ؛ فقد تَمَنَّكَتْ فيها أعماله ، كما تَمَنَّكَتْ خيوط السج ؛ فاقطعت بالمتقي بعض المراحل إلى الفهم ؛ فتمنعت عليه (٩٣) ؛ فذلت على اضطراب قسي ، لا على خصب عقلي . وقد ميز الجرجاني في " أسرار البلاغة " ، هذا الذي سماه " المُلَخَّص " ، من ذاك الذي سماه " المَعْدَد " ، بقوله : " المعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة ، بل لأن صاحبه يُعثر فكرك في متصرفه ، ويُشيك طريقك إلى المعنى ، ويوهر مذهبك نحوه ، بل ربما قَسَمَ فكرك ، وشَعَبَ ظنك ، حتى لا تدري من أين توصل ، وكيف تطلب . وأما المُلَخَّص فيفتح لفكرتك الطريق المستوي ويمهده ، وإن كان فيه تماطف أقام عليه المنار ، وأوقد فيه الأنوار ، حتى تسلكه سلوك المُنَيَّن لِيُجِيبَهُ ، وقطعه قطع الراق بالنبج في طيه ، قَرَدَ الشَّرْعَةَ زَرْقَاءَ ، والرَّوْضَةَ غَنَاءَ ، قتال الزبي ، وقَطَفَ الزهر الجني . وهل شيء أحلى من الفكرة إذا استمرت وصادفت نهجاً مستقيماً ، ومذهباً قوياً ، وطريقة نقاد ، وتبينت لها الغاية فيما تُرَاد " (٩٤) ، وكأنما أراد أصحاب الفرزدق .

ولقد رغبت مرة في أن أتبين حقيقة هذه الدعوى ؛ فكُتِبْتُ لتلاميذي (٩٥) غير مكلف ، هاتين الجملتين :

* جاء أخوك الذي رأيته عندك مسرعاً على رغم مرضه إلينا .

* على رغم مرضه جاء إلينا مسرعاً أخوك الذي رأيته عندك .

ثم أخبرتهم أنني لم أرد محض الجيء ، على رغم أنه لباب الفكرة ، بل احتمال المرض . ثم سألتهم : أيهما أسهل (أوضح) ، وأيتهما أصعب (أغمض) ؟ فاختلفوا ، غير أنني ومن له بهذا علم منهم - وكما الأكثر - رأينا الآخرة أسهل .

إننا نمكث في الجملة الأولى لنفهم المعنى المراد ، وقتاً أطول مما نمكثه في الجملة الآخرة ، وإن اتفقت بينهما الكلمات ؛ إذ نطلب القائدة في غير موطنها ، حتى إذا ما خاب مسعانا ، طلبناها في موطنها ، ولكن بعد فوات الأوان !

ولم تكن صعوبة الجملة الأولى إلا من ضعف الترتيب الذي هو أحد أعمال المُرْك ، ولا سهولة الجملة الآخرة إلا من قوة الترتيب التي هي أحد أعمال المُجَزِّل .

ولقد كان فيما سبق من تفرق الأمواني بين الركاكة والسهولة (الوضع) ، وجمع الطرابلسي بين السهولة والجزالة ، وكلاهما تنبيه على الصعوبة (الغموض) بالركاكة - بأن طرف مما اشتمل عليه المستوعبون . ولكن الحالفين الذين جعلوا الفرزدق " يتنحّث

من صخر " ، وجريرا " يَعْرِفُ مِنْ بَحْرِ " - ملأوا الجزالة من صعوبة الصخر ، والسهولة من سلاسة الماء ، حتى استقحل لدى كثير من الدارسين الأمر ؛ فصارت الجزالة والصعوبة شيئا واحدا ، والسهولة شيئا آخر (٩٦) . بل قد وجدتُ بعض شدة الشعر المعاصرين ، يادر قَادَهُ بالسخرية من نفسه قائلا :

لَكِنْ ظَلَمْتُكَ فَرَدُّ فِي سَمَاعِيهِ وَشِعْرُكَ الْفَتْ أَمْرٌ غَيْرُ مُخْتَلٍ ...

لَا أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ هَرٍ قَرَشَفَةٌ أَوْ أَنْتَ شَحَةُ جَزَلًا مِنَ الْجَبَلِ " (٩٧) !

ولم تكن مقابلة الجزالة بالركة (٩٨) ، إلا أخذنا فيما سبق ، ولكلها أَكْدَتْ بِمُقَابَلَةِ الْأَعْرَاضِ . قال ابن الأثير في الألفاظ : " الجزل عنها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف ، وأشياء ذلك . وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودات ، وملينات الاستعطاف ، وأشياء ذلك " (٩٩) ؛ فلم يميز الجزالة من الورقة بأوضاع النظم كما علمنا الجرجاني ، بل بأطر الأعراض ، وهذا من إهمال الواجب الذي استمر في الخلفين (١٠٠) . والرجل منهم بعدم استيعاب مقالات البلاغيين من قبله ، وباضطراب تصور مسائل علوم البلاغة من جراء ذلك (١٠١) .

ولقد سبق لنا أن حررنا عند القدماء أصحاب المصطلح ، التقاء الجزالة والسهولة والركة حين تكون هذه خفة ، واختراق الجزالة والركة حين تكون هذه سُخْفًا - بما يفند هذه الدعوى الثانية .

[٢٢] الدَّعْوَى الثَّالِثَةُ : أَنَّ الْجَزَلَ حُكْمٌ انْطِبَاعِيٌّ (ذَوْقِيٌّ) .

في الباب الخامس من كتاب " الأسلوب " ، درس الأستاذ الشايب " صفات الأسلوب " التي كانت عنده ثلاثاً أصولاً : الوضع ، والقوة ، والجمال (١٠٢) ، لم تبعد عنها الجزالة ؛ فجاء كلامه قديم الباطن حديث الظاهر ؛ فآثار عليه قاذوا صدمتهم المفارقة العجيبة ؛ " فالأسلوب عنده - من حيث هو سمة للإبداع الأدبي - خاضع لرسم البلاغة التقليدية إلى حد كبير ، بل إنه خاضع لهذه الرسوم خضوعاً تاماً رغم العبارات المشحونة بالعصرية التي عبرت عن ذلك ، أما من حيث هو مطلب للتقيد الأدبي فلا مدرك له إلا الأفعال ولا سبيل إلى وصفه إلا هذه الكلمات الانطباعية الخالصة " (١٠٣) - ومنها الجزالة (١٠٤) - " وهي عبارات لا يمكن أن نخرج منها بتحديد واضح ملموس يؤكد مفهوم الرجل للأسلوب وخصائصه " (١٠٥) .

قد أقبل أولئك القاد على كاب " الأسلوب " ، وقَدَرُوا أن يعلِّقَهُم بِبني النظام المسترلية على النصوص وملاحج المجاوزة الصاعدة للنظام ، فأخذ مأخوذ بشروط منهج النقد الأدبي الحديث التي مَوَّضِلْ لمقولات النقد في نظرية العلم ؛ فعشروا بأديب قدامي مقلد يلو ك مقولات بلاغية بالية ، مِنْ مِثْلِ " الجزالة " ، فراراً بما لا قدرة له على رؤيته ، كهرار سلفه بقوله : " لِيَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَشْيَاءٌ تُحِيطُ بِهَا الْمَعْرِفَةُ ، وَلَا تُؤَدِّي الصَّنْءَ " (١٠٦) أو بقوله : " مَا يَخْتَارُهُ الْقَادُّ الْحَادِقُ قَدْ يَتَّقَنُ فِيهِ مَا لَوْ سَلَّ عَنْ سَبَبِ اخْتِبَارِهِ إِيَّاهُ ، وَعَنِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ، لَمْ يُمْكِنْهُ الْجَوَابُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ : هَكَذَا قَضِيَّةٌ طَبْعِي " (١٠٧) ، واستطالة بما لا يملك ، كاستطالة سلفه بقوله :

" عَزَّ عَلِيمُ الذُّوقِ أَنْ يَعْرِفَهُ عَالِمٌ جَانِبِنَا مَا اخْتَرَمَا " (١٠٨) !

- والا على غط من تفسير نصوص الأدب ، من مثل " تجزئ الألفاظ " ، تجلى فيه هذه الخصال المتعاقبات الحدوث :

١ أنه يخصُّ صاحبه ، ولا يتعلَّم منه .

٢ أنه يبيح مخالفة على نحو واسع ، إلى ما ربما ناقضه .

٣ أنه لا يمكن اختباره أصلاً .

٤ أنه لا يمكن تخطينه هو أو غيره مما على غطه .

يتبغي أن يُضاف - إنما استقام لصاحبه - إلى نصوص الفن ، لا إلى أعمال العلم (١٠٩) !

وعلى رغم ما ذهب إليه باحثون في مسائل علم النفس ، من دقة أحكام المهيجين وجودة عمل عقول الواجدن (الطراب) (١١٠) ، وفي نظرية الأدب ، من تكامل أحكام الذوق وأحكام الاستنتاج المعال (١١١) ، وفي علم الأسلوب ، من دقة أحكام ذوق الخير (١١٢) - كلانا عبد القاهر الجرجاني فيما سبق مؤونة اقتصار بعض مُجَزِّلِي الكلام على أحكام أذواقهم ؛ إذ كان وهو ابن القرن الهجري الخامس ، ممن يؤمنون بروجع تلك الأحكام إلى أوضاع نظم الكلام - فافتضحت لتهمي التَّجْزِيلِ بذلك ، حال من عدم استيعاب مقالات البلاغيين السابقين ، كحال ابن الأثير الآفة .

[٢٣] الدَّعْوَى الرَّابِعَةُ : أَنَّ الْجَزَالََّةَ ضِدُّ الْحَدَاثَةِ .

إنما تَسْتَقِي قَدَمَاءُ العلماء والفنانين قَدَمَاتِهِمْ ، وَتُخَدِّثُهُمْ بِحَدَاتِهِمْ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ بَيْنَ الْمُعَاَصِرِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوَّلًا عَلَى رَغَمِ قَمَاصِرِهِمْ ، مَنْ يَحِنُّ إِلَى الْمَاضِي وَيَعْمَلُ لَهُ ، وَمَنْ يَشْتَغِلُ بِالْحَاضِرِ وَيَعْمَلُ لَهُ ، وَمَنْ يَطْلُعُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ وَيَعْمَلُ لَهُ - تَسْتَقِي أَوَّلَهُمْ قَدَامِيًا ، وَثَانِيَهُمْ حَدَاتِيًا (١١٣) ، وَآخِرَهُمْ مُسْتَقْبَلِيًا (١١٤) ، حَتَّى إِذَا مَا خَلَفَ عَصْرٌ عَصْرًا ، اسْتَمْسَكَ الْقَدَامِيُّ الْآخِرَ بِالْقَدَامِيِّ وَالْحَدَاتِيُّ الْأَوَّلِينَ سَلْخًا لَهُ وَأَطْرَحَ غَيْرَهُمَا ، وَاسْتَمْسَكَ الْحَدَاتِيُّ الْآخِرَ بِالْمُسْتَقْبَلِيِّ الْأَوَّلِ وَأَطْرَحَ غَيْرَهُ ، وَبَقِيَ الْمُسْتَقْبَلِيُّ الْآخِرُ مُنْبَتًا لَا سَلَفَ لَهُ (١١٥) .

وَلَمْ يَدِمِ أَمْرُ الْجَزَائِلَةِ عِنْدَ الْحَدِيثِينَ الْمُعَاَصِرِينَ ، فَكَانَ الطَّوَائِفُ الثَّلَاثُ ؛ فَقَدْ انْتَبَهُوا لِلْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ اتَّسَعَتْ فِيهَا بَيْنَ الْفَنَةِ وَاللَّهْجَةِ ، مُرَّةً مِنَ التَّطَوُّرِ ، خَبِلَتْ لَهُمْ مُسْتَقَامًا فِي رَحِمِ النَّيْبِ (١١٦) :

أَمَّا الْقَدَامِيُّونَ الَّذِينَ قَصَرُوا الْجَزَائِلَةَ عَلَى الْقَدَمَاءِ (١١٧) ؛ فَاتَّارُوا غَيْرَهُمْ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ " فِتْنَةِ الْفَنَةِ النَّقِيَّةِ " الَّتِي أَحَدَثَهَا الصَّرَاحُ الشَّعْرِيُّ وَالتَّاحِرُ الْمَذْهَبِيُّ كِلَاهُمَا ، فَحَرَمَتْ الْعَرَبِيَّةَ الصَّدْقَ ، وَعَاقَتْهَا عَنِ التَّطَوُّرِ ، وَشَغَلَتْ اللَّغَوِيَّينَ عَنْ مَبَاحِثِ مَفِيدَةٍ فِي دَقَّةِ الْعِبَارَاتِ ، وَفِي اخْتِلَافِ الصَّبْغِ الْمُشَابِهَةِ الظَّاهِرِ (١١٨) ، وَإِلَى الْحَدِيثِ عَنْ عَجْزِ مَقُولَاتِ النُّحُوِّ الْقَدِيمَةِ - وَمَا الْجَزَائِلَةُ فِيهَا رَأَيْتَ ، إِلَّا إِحْدَاهَا - عَنْ اسْتِيفَاحِ النِّشَاطِ اللَّغَوِيِّ ، وَأَنْ " كُلُّ مَا صَنَعَهُ بَاحِثٌ عَظِيمٌ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ (الْجُرْجَانِيُّ) ، هُوَ أَنَّهُ أَخَذَ يَطْبِقُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ أَوْ يَطْبِقُ الْمَقُولَاتِ النَّحْوِيَّةَ لِلْمَعَارِفَةِ ، طَبِيقًا يَتِمُّ عَنْ ذِكَاةِ " (١١٩) ، وَإِلَى الْحَدِيثِ عَنْ الْأَعْرَابِيِّ صَانِعِ الْعَالَمِ ، وَلَفَنِهِ " اللَّاتَارِيخِيَّةِ " الْحَسِّيَّةِ ، وَهَيْمَنَةِ الذَّوْقِ الْقَدِيمِ عَلَى الذَّوْقِ الْحَدِيثِ (١٢٠) ، وَإِلَى الْحَدِيثِ عَنْ مُشْكَلَةِ الْفَصَاحَةِ الَّتِي كَانَ يَبْغِي أَنْ تَكُونَ عَوَاثًا عَلَى الْمَشْكَلَاتِ اللَّغَوِيَّةِ ، فَجَعَلَهَا " أَهْلُ الصَّفَاءِ اللَّغَوِيِّ " ، أَمَمًا (١٢١) ، وَإِلَى الْحَدِيثِ عَنْ وَخَامَةِ عَاقِبَةِ الْجَزَائِلَةِ ، فِيمَا قَصَتْ فَدَوَى طَوْقَانٍ مِنْ آثَارِ الْإِجْزَالِ الَّذِي حَمَلَهَا عَلَيْهِ أَسَاذُهَا وَأَخُوهَا إِبْرَاهِيمُ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ ، قَائِلَةً : " لَقَدْ نَمَّا وَتَضَخَّمَ اهْتِمَامِي بِالرَّكِيْبِ الْقَدِيمِ لِلْعِبَارَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، إِلَى حَدِّ كَانَتْ أَفْكَارِي وَمَشَاعِرِي تَقْصُرُفُ مَعَهُ عَنِ التَّجَرُّبَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، إِلَى الْاهْتِمَامِ بِرَّكِيْبِ الْعِبَارَاتِ وَاتِّقَاءِ الْكَلِمَاتِ ذَاتِ الطَّنِينِ وَالِدَوِيِّ :

وَلِي عِنْدَكُمْ قَلْبٌ غَرِبٌ مُطَرِّحٌ لَدَى بَابِكُمْ يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي الْكَرْبِ
طَلِجٌ إِذَا اسْتَنْهَضَتْهُ كَرِيٌّ أَقِيلُهُ تَحَامَلْتُ ثُمَّ أَنْكَبْتُ مِنَ أَلَمِ الْحُبِّ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ بُكَائِي فَإِنَّمَا بُكَائِي يَا أَحْبَابَ قَلْبِي عَلَى قَلْبِي

سَلَامٌ عَلَيْهِ إِذْ يَمُوتُ صَبَابَةً وَإِذْ أَنْتُمْ لَاهُونَ عَنْ قَلْبِي الصَّبِّ

... كل هذه كت أحسها سداً وقف دون الحركة والتدفق والاطلاق بغوية وصدق خلال عملية النظم . كت أحس التصنع يدب في ثنايا أشعاري ويلمص بها صفة الجفاف واليبوسة . ولم أكن أعرف كيف أبتعث في قصيدتي التُسع المفقود ، ولا من أين أستمد . كت أنحت من صخر ضلا ، وكان هناك شيء يكبل الجيشان العاطفي في داخلي ، ويحول دون جريان التيار النفسي في قصيدتي بسهولة ويسر ، ولم أهد إلى أصالي إلا يم هداني الدكتور مندور إلى أدب المهجر " (١٢٢) .

وأما الحداثيون الذين عافوا الجزالة واستمسكوا - أو كادوا - بالركاة التي أتهموا بها وحُبسوا فيها (١٢٣) ؛ فأتاوروا غيرهم إلى الحديث عما في مصطلح " الحداث " من قبول لشيء من الضياع ، وما في مصطلح " القدماة " ، من مجاهدة لذلك الضياع (١٢٤) ، وإلى الحديث عما يحني به على الكلام ، أطراح الفصاحة ، من ضعف وفُسولة ، وأنه " صحيح أن (الفصاحة) وحدها لا تصنع فنا ، ولكن البعد عن الفصاحة - بدون صفة أخرى في الكلام - هو من الفن أبعد " (١٢٥) ، وإلى الحديث عما في استبدال فصاحة حديثة ، بفصاحة قديمة ، من فوضى إذا اقتح بابها لم يهرَّ للعربية قرار (١٢٦) ، وإلى الحديث عن أخذ مادة شعره من معالم الحياة العادية المكررة المبتذلة ، ثم وصلها " باللغة التي كانت تصف بحر الآرام دون أن تتقد بهامها وفخامها " (١٢٧) ، وإلى الحديث عن وخامة عاقبة الركاة ، فيما وجد الحساني حسن عبد الله ، في مثل قول نزار قباني :

" الأَسْمُ

جَمِيلَةٌ بِوَحِيدٍ

رَقْمُ الزَّنْزَانَةِ تَسْمَعُونَ

فِي السَّجْنِ الْحَرَبِيِّ بِوَفْرَانِ

وَالشَّمْرُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ

عَيْنَانِ كَقَنْدِيلِي مَعْبُدِ

وَالشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْأَسْوَدُ

كَالصَيْفِ كَشَالِ الْأَخْزَانِ

إِبْرُقَ لِمَاءٍ وَسَجَانُ

وَبَدَّ تُضْمُ عَلَى الْقُرَانِ

وَأَمْرًا فِي ضَوْءِ الصُّبْحِ

تَسْتَرْجِعُ فِي مِثْلِ الْبُحْبُوحِ

آيَاتٍ مُخْزِنَةً الْإِرْثَانُ

مِنْ سُورَةِ (مَرْيَمَ) وَ(الْفَتْحِ) .

من آثار الإرثاك : " منها التمرير غير المفيد ، ومنها رككة اللغة ، كاضطراره إلى قطع همزة الوصل في كلمة (الإسم) ، واستعمال الواو في قوله (وامرأة في ضوء الصبح) ، يريد أن يشدّ معنا هنا بخرابة المتظر كأنما نراه فجأة ، ناسيا أنه حدثنا من قبل عن أنشئ اسمها جميلة لها عيتان وشعر وبدان ومنها كذب الشعور ومنها رقاعة شائعة في الشعر الحر كله أعني الفصل لغير ضرورة في كثير من الأحيان بين أجزاء لا قبل الانفصال ، كالمبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل ، والجار والمجرور ، والمضاف إليه ، ومثاله هنا وضعه كلمة (الإسم) في سطر و (جميلة) في سطر " (١٢٨) .

وأما المستقبليون الذين رفضوا الجزالة والرككة جميعا معا ، بدعوتهم إلى تَجْزِير نظام اللغة والتفكير ، طامحين إلى ما لا يتأتى فيه لأحد تَجْزِيلٌ ولا تَرْكِيبٌ (١٢٩) ، فأتاروا غيرهم إلى الحديث عن علاقة الاستمساك بالأصول بالاستمساك بالحضارة ، وعن أن موقف الكاتب العربي المعاصر من اللغة (الفصيحة) جزء من الظاهرة الأسلوبية عنده ، وعن لزوم الإطار المرجعي (١٣٠) ، وإلى الحديث عن أن اصطلاح الفكر القديم بما فيه من آثار اللغة والتفكير القديين ، ينقص من إنسانية الإنسان ويجذب من حياته ويهبط من بصيرته (١٣١) ، وإلى الحديث عن استيعاب نظام لغتنا وتفكيرنا العربي الخصب ، لتجارب أولئك المستقبليين التي ظنّت مارقةً منه (١٣٢) ، وإلى الحديث فيما تنشره الصحف دون رقابة ، عن اختراق القواعد اللغوية الأولية ، أقرب إلى لعب الصبية ، منه إلى المقولة النظرية الحديثة (١٣٣) .

خاتمة

[٢٤] يبدو البحث قارئة ، في أمر الجزالة (صفة الشعر العربي القديم) و الإجزال (إخراج الشعر العربي القديم على هذه الصفة) و التجزيل (الحكم على الشعر العربي القديم بهذه الصفة) وأمر الركاة (ضد الجزالة) و الإركاك (ضد الإجزال) و التركيك (ضد التجزيل) ، أكرمه في أمر الملهلة صفة وإخراجاً وحكماً ، حتى إذا ما مضى فيه إلى غايته ، اطلع على أن تلك الأمور الثلاثة أمر واحد .

قد بلغ أمر الملهلة التي تكتب بها عدي بن ربيعة التخلي الشاعر العربي القديم ، من الفموض ، أن أخذت صفة قدح مرة وصفة مدح أخرى ، وأن التبت كلمات القدح والمدح متنامية وكأنما روعي قياس بعضها إلى بعض ، وأن ساعدت اللغة على ذلك . وقد بسرت قطعة عدي التي اختارها أبو تمام لباب المراثي من ديوان الحماسة ، السيل إلى تحقيق أمر الملهلة بتحقيق أمر الجزالة (وضدها الركاة) التي ذكرها المرزوقي شارح الديوان ، في أبواب عمود الشعر العربي القديم التي انبنى عليها الاختيار ؛ فأتضح وقوع هلهلة مهلهل بينهما : من قدح فيه بها قد عدها من الركاة ، ومن مدح بها قد عدها من الجزالة .

ولما كان المرزوقي قد ترك شرح أمر الجزالة (وضدها الركاة) ، وكان عبد القاهر الجرجاني قد فنى على المحدثين الذين المرزوقي واحد منهم ، استعالمهم مصطلح القدماء (جزالة الألفاظ) دون تحمل تكاليفه الثلاثة : علم معناه و علم غرضه و علم تفسيره ، أي أن يجعلوا أمر تلك المزية - انبغي لنا في أمر الجزالة و الركاة :

أولاً : أن نبحثه عند القدماء لدى الجرجاني البعدي القدم لدينا ، ولا سيما ما استوعبه هو عنهم .

ثانياً : أن نبحثه عند من استوعبه من المحدثين لديه القدماء لدينا والمحدثين لدينا الغائبين لديه جميعاً معاً .

ثالثاً : أن نبحثه عند من لم يستوعبه من المحدثين لديه القدماء لدينا والمحدثين لدينا الغائبين لديه جميعاً معاً .

حتى إذا ما انجلى أمرهما انجلى أمر الملهلة .

ولقد اتضح أن الجزالة ومثلها هلهلة المدح (الحفة) ، و الركاة ومثلها هلهلة القدح (السخف) عند القدماء ، صفتان نحويتان في نظم الكلام إبدالاً وترتيباً وحذفاً وإضافة ، تستهلمان على من يستوضحهما في غير نحو الكلام ، تكون الأولى متى انظم قويا

كالجبل المشدود لا يَبِيعُ لمُسَوِّعِهِ أَنْ يَقُولَ : لو كان كذا مكان كذا لكان أفضل ، وتكون الأخرى متى انتظم ضعيفا كالجبل المزخى
يَبِيعُ لمُسَوِّعِهِ أَنْ يَقُولَ ذلك ، وشاهد الحكم الموازنة المَسَوِّغَةُ بين ظَمِيٍّ كَلَامَيْنِ محتفين ، أو بين ظَمِيٍّ الكَلَامِ قَسَمِهِ ، السالم والمغير .
ثم اتضح استيعاب قلة من المحدثين كابن رشيق والفرعاجي والأهواني والطرابلسي ، من أمر الجزالة (وضدها الركاكة) عند
القدماء ومنزلتها من الشعر العربي القديم ، ما استوعبه الجرجاني ، كما دلت على ذلك نصوص لهم واضحة .

ثم اتضح عدم استيعاب كثرة من المحدثين ، من أمر الجزالة (وضدها الركاكة) عند القدماء ومنزلتها من الشعر العربي القديم ،
ما استوعبه الجرجاني ، استعصت على المحاوراة أسماؤهم ؛ فجمعهم دعاوى أربعٍ أَدْعَوْهَا وَقَدَّعْتُهَا :

الأولى : أَنَّ الْجَزَالَهَ وَالرُّكَكَاكَةَ مِنْ صِفَاتِ الْكَلِمَةِ الْمُتَفَرِّدَةِ .

الثانية : أَنَّ الْجَزَالَهَ ضِدُّ السَّهُولَةِ وَالرَّقَةِ .

الثالثة : أَنَّ التَّجَزُّلَ حُكْمٌ أَطْبَاعِيٌّ (ذَوْقِيٌّ) .

الرابعة : أَنَّ الْجَزَالَهَ ضِدُّ الْحَدَاثَةِ .

[٢٥] ومهما ذكرتُ ما تيسرت لي دراسته ، لم أنجح بأن ينسى القارئ بسببِ أَمْرِ الِهَلَّةِ ، فَرَّقَ ما بين شعر مُهَلِّلٍ وشعر غيره

الحمول عليه المنحول إليه ، ثم فَرَّقَ ما بين شعره وشعر من قبله وشعر من بعده (موعدي في مقدمة هذا البحث) !

وانني لأرجو أن أضع في إنجاز هذه الموعدة ، مجئا ثانياً أو أكثر ، والله المستعان .

حواشي البحث

- (١) حرب : ١٩ ، والقول : ١٣ ؛ قد أشارا إلى الاختلاف في سنة موته بين ٥٠٠ ، و ٥٢٥ و ٥٣٠ و ٥٣٦ م .
- (٢) التريجات : ٥٣ - ٨٢ .
- (٣) السابق : ٨٣ .
- (٤) السابق : ٢٩ - ٤٤ .
- (٥) ابن دريد : ٣٣٨ ، وراجع كذلك ٦٦ .
- (٦) ابن سلام : ١ / ٣٩ .
- (٧) المرزباني : ٩٤ .
- (٨) ابن منظور : حلل .
- (٩) المرزباني : ٩٤ .
- (١٠) ابن قتيبة : ١ / ٢٩٧ .
- (١١) القالي : ١٢٩/٢ ، ولأن خص لرفاقه الشعر عند ابن قتيبة ، بالمرائي ، فيما قرأ له على ابنه أحمد ، والبخدادي : ١٦٤ / ٢ .
- (١٢) الأصفهاني : ٥ / ١٧٠١ ، وفيه " عَتِي " ، بالبناء للمفعول ، وبتأوذه للفاعل - إن شاء الله - هو الصواب ؛ فن غني في شعرهم من العرب لا يُحصون كثرة ، و " الأغاني " قسه شاهد ، فأما من غنوا هم في شعرهم هم ، قليل . وقد جرى رأيا نسبة من نسب هليلة مهلهل ، إلى حسن صوته ، فيما ذكر فارمر : ٥٩ .
- (١٣) ابن منظور : رقق .
- (١٤) الرضي : ٩٣/١ .
- (١٥) ابن منظور : خنت .
- (١٦) المرزباني : ١٦٢ .
- (١٧) ابن منظور : حلل .
- (١٨) المرزباني : ٩٥ .
- (١٩) السابق قسه .
- (٢٠) أبو تمام : ٣٨٤/١ - ٣٨٥ .

(٢١) حرب : ٤٤ .

(٢٢) القوال : ٤٧ .

(٢٣) المروزقي : ٩/١ .

(٢٤) الجاحظ : ١٤٤/١ .

(٢٥) ثلب : ٦٣ .

(٢٦) الأصفهاني : ٨٦٧٥/٢٥ ، ٩٤٥٣/٢٧ .

(٢٧) الأندي : ٤٢١/١ .

(٢٨) المنزلي : ١٩٨/١٦ .

(٢٩) السكري : ١٥٥ ، وكذلك الطنحاحي : ٦-٥ .

(٣٠) ابن منظور : جزل .

(٣١) السابق : ركك .

(٣٢) الجاحظ : ١٤٤/١ .

(٣٣) روى بالتشريض ابن جريد : ٦١ ، أنه إذا " سمي مهلهلا قوله :

لَمَّا وَقَلَ فِي الْكُرَاعِ فَحَيِّتَهُمْ هَلَّتْ أَثَارُ مَا لَكَ أَوْ صَبِلَا " .

وكذلك صنع البغدادي : ١٦٥/٢ ، وابن منظور : هلال ، والقوال : ٨ ، وغيرهم ، وهو ما أباه حرب : ٨ ، ساخرا : " إن فارسا الذي دوح

بكرا وقتك بأهلاها اسمه (الذي كاد) أو (الذي كاد يثار) ! " ، مؤثرا أن يكون قبله اسمه ، ولا سيما أن من معانيه السَّم ؛ فيكون سم أعدائه ،

على ما كان العرب يرغبون لأسماء أبنائهم أن تكون .

وليس يمنع - على وجاحة القد - أن يكون عديّ ابتدع الفعل (هليل) في اللغة ؛ فمثل هذا من عمل الشعراء ، أو ابتدع ذكره في الشعر ،

فسمونه به .

ومن الطرف قول قارمر ، ٥٩ : " قيل لئن (عدي بن ربيعة) وهو شاعر بني تلب الأشهر ، ما قلب بالمهليل إلا لحسن صوته . على أن كآبا

آخرين يقدمون أسبابا أخرى لاشتهاره بهذه الصفة " .

(٣٤) المروزقي : ٩/١ .

(٣٥) الجرجاني : ٤٥٦ .

(٣٦) صود : ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٣٧) ناصف : ١٣٩-١٤٠ ، ١٤١-١٤٢ ، ١٨٥-١٨٦ .

(٣٨) الجرجاني : ٧٢ .

(٣٩) ضيف : ١٦٠-١٦١ .

(٤٠) الجرجاني : ٨١ .

(٤١) السابق : ٨٢ .

(٤٢) السابق : ٩٨ .

(٤٣) الجرجاني : ٦٣-٦٤ . وعلى رغم ذلك ظنه الأستاذ الشاب يقول بأسلوبين فظليّ ومعتويّ ؛ فزف الذكور عياد : ٢٩ ، ظنه قاتلا : " وضع الأستاذ الشاب قضية النظم والمعنى يتجاوز كل ما كبه عبد القاهر حول هذا الموضوع ؛ فلم يذهب عبد القاهر قط إلى مثل قول الأستاذ الشاب إن هناك أسلوبا معويا ، وأسلوبا فظليا يتكون على مثاله . ولا شك أن هذا تبسيط شديد للعلاقة بين اللغة والفكر ، ولكن الإجماع معتقد بين الباحثين في اللغة والأدب والأنثروبولوجيا وعلم النفس ، على أن العلاقة بين اللغة والفكر لا تتم من جانب واحد يمكن أن يعد أحدهما أصلا والآخر صورة له " .

(٤٤) للمنزلي : ١٦/١٩٧ ، والآمدي : ٢٣٩/١ ، والمرزوقي : ٧/١ ، وابن طباطبا : ٦ .

(٤٥) الجرجاني : ٣٦ .

(٤٦) ابن منظور : جزل ، وركان .

(٤٧) السابق : جزل .

(٤٨) الأصفهاني : ٢٧/٩٤٥٣ .

(٤٩) الجرجاني : ٨١ ، ٨٢ . ومن أطرف الانفاقات - كما أوضح عبد اللطيف : ٤٧ ح ، قلا عن داود عبده - ألا تخرج أقسام القواعد التحويلية التي تحول بها بنية الجملة الداخلية إلى بنيتها الخارجية عند التحويلين ، عن أقسام أعمال الناظم التي وجدتها في تفصيل الجرجاني . وإنما كان ذلك من أنها التي بها اتبنت البنية الداخلية في أصلها .

(٥٠) السابق : ١٣٧ .

(٥١) ابن سنان : ١٥١ .

(٥٢) ابن منظور : خلع .

(٥٣) فدامة : ١٨١ ؛ فقد ذكر من عيوب العروض " التخلُّع " أي الإفراط في الزحاف ، الذي يخرج " عن باب الشعر الذي يعرف السامع وزنه في أول وهلة ، إلى ما ينكوه حتى يصم ذوقه ، أو مرضه على العروض فيصح فيه ؛ فإن ما جرى هذا الجرى ناقص الطلاوة ، قليل الخلاوة " ؛ فلم أجد أدل على شدة لركاك الكلام من التخلُّع ؛ فاستمرته للنحو من العروض ، على طريقة علمائنا القدماء أنفسهم الدالة على اتحاد أصول تشكيلهم وأصالة عملهم فيما استيطوا من العلم الخاصة لهم .

(٥٤) الأمدي : ٦/١ ، ٥٧ ، ٤٢٩ ، والقرطاجني : ٣٧٦ ، ومصلح : ٤٩ ، ١٠٥ ، وصقر : ٣٩ - ٤٢ .

(٥٥) ناصف : ٢٥٢ ؛ قد قال : " جاء عبد القاهر فكتب كما خلاصة : إذا أريد لدراسة الأدب أن تبلغ درجة من النضج ، فلا بد من إقامة رابطة بينها وبين المسائل النحوية المتعلقة بنظام الكلمات أو تركيب العبارات . من النحو يمكن أن ينشأ فصل مهم في علم الأدب . هذه القضية البسيطة التي يرض لوامها باحث ذكي في القرن الخامس . من التأمل في الاحتمالات النحوية يمكن أن يفتح الباب أمام خبرة أقوى بالشعر . ولن نستطيع أن نفهم الشعر ما لم نستطع أن نحول دراسة النحو بحيث تقيدا في توضيح لنة الشعر التي ظلت توصف وصفا مبهما في الكاينين العظيمين اللذين كتبهما الأمدي والقاضي الجرجاني . كان الأمدي والجرجاني يتحدثان عن قوة الألفاظ . وما من ناقد تعرض للشعر دون أن يخطئ إلى هذه الخاصية ، لكن قوة الألفاظ ظلت عبارة مهمة أو بابا مغلقا ؛ فكيف يمكن أن نعرف ما سمي به باسم قوة الألفاظ وفاعليتها ؟ لابد لنا أن نستعين بالنحو الذي هو روح اللغة ونظامها " .

ولم تكن قوة الألفاظ عند عبد القاهر الجرجاني إلا جزالتها ، ولا كان الأمدي وعلي الجرجاني إلا بعض المحدثين .

(٥٦) الجاحظ : ١٤٤/١ .

(٥٧) فندريس : ١٩٥ ، ولونج : ١٩٩-٢٠٠ ، ويوسف : ١٩٨-١٩٩ ، ٢٣١-٢٣٢ ، والحرر : ٨٠-٨٢ ، والعبد : ١٢٠ .

(٥٨) الأصفهاني : ٢٣ / ٨١٧٦

(٥٩) ابن رشيق : ١٢٩-١٣٠

(٦٠) السابق : ١ / ١٢٤

(٦١) السابق : ١ / ١٢٥

(٦٢) السابق : ١ / ١٢٦

(٦٣) السابق : ١ / ١٢٥

(٦٤) السابق : ١ / ٩٣

(٦٥) الفرطاحي : ٢٢٥

- (٦٦) ابن منظور : مسك .
 (٦٧) الطرطاجني : ٢٢٤ .
 (٦٨) الجاحظ : ١٤٤ / ١ ، وكذلك الخفاجي : ٣٢ - ٣٣ ، ٨٢ .
 (٦٩) ابن طباطبا : ٨ - ٩ .
 (٧٠) الجرجاني : ٦ .
 (٧١) الأمازي : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .
 (٧٢) ابن أبي الإصم : ٤١٠ .
 (٧٣) الحلبي : ١٣٤ . وقد رغبت مرة في خلال تدريسي لعلم عروض شعر اللغة العربية ، أن أستطرد إلى أمثلة من شعر اللهجة العربية المصرية ، دلالة على علاقتها ؛ فذكرت ذلك لأستاذي عمود محمد شاکر - رحمه الله ! - فجزني عنه شديدا !
 (٧٤) الأمازي : ٤٤ .
 (٧٥) السابق : ٤٣ .
 (٧٦) الطرطاجني : ٣٢٥ .
 (٧٧) السابق : ٤٤ .
 (٧٨) السابق : ٣٢٦ .
 (٧٩) السابق : ٣٣٠ .
 (٨٠) الجرجاني : ٧٢ .
 (٨١) ابن عاشور : ٢٨ .
 (٨٢) المرزوقي : ٩ / ١ .
 (٨٣) البرقوقي : ٣٧ .
 (٨٤) السابق : ٢٤ .
 (٨٥) ابن عاشور : ٢٨ - ٣١ ، ٤١ - ٤٢ .
 (٨٦) الجرجاني : ٥٩ .
 (٨٧) ابن عاشور : ٦٤ - ٦٥ .

- (٨٨) البائري : ١٤٢ . من هؤلاء المحدثين أساتذة وزملاء مخلصون ، بأقسام اللغة العربية ، لا هنا نستفيد من محاورتهم .
- (٨٩) الأصفهاني : ٨٦٧٥/٢٥ - ٨٦٧٦ .
- (٩٠) الآمدي : ٥/١ ؛ فقد أعرض الشيخ عن التصريح بمن قدم من العائنين ؛ إذ ليس فيه إلا التعرض لدم أحد الفرقتين : الأصحاب أو المخلصين .
- (٩١) المرزباني : ١٦٢ .
- (٩٢) محمد (السيد) : المقدمة .
- (٩٣) خليل : ٢٢٥ - ٢٢٨ .
- (٩٤) الجرجاني : ١٤٧ .
- (٩٥) كانوا سنة ٢٠٠١ م ، في فصلهم الأخير جسم اللغة العربية ، من كلية التربية ، يدرسون علينا بتظيره من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، بجامعة السلطان قابوس ، مقرر " نصوص وتدرجات نحوية " .
- (٩٦) ضيف : ٢٧ - ٢٨ ، وإبراهيم : ٩٥ - ٩٧ ، ١٠١ ، والحسيني : ٢٥٣ .
- (٩٧) الرمعي : ٢٧ ، ٢٨ .
- (٩٨) ابن الأثير : ١٨٦/١ ، وابن عاشور : ٦٤ - ٦٦ ، وقصاب : ٢٠٢ .
- (٩٩) ابن الأثير : ١٨٦/١ .
- (١٠٠) ابن عاشور : ٦٤ - ٦٦ ، وقصاب : ٢٠٢ ، وعبد المطلب : ١١٢ - ١١٣ .
- (١٠١) ضيف : ٣٣٤ - ٣٣٥ .
- (١٠٢) الشاب : ١٨٥ - ٢٠٢ .
- (١٠٣) عياد : ٣١ .
- (١٠٤) السابق : هـ .
- (١٠٥) عبد المطلب : ١١٧ .
- (١٠٦) الآمدي : ٤١٤/١ .
- (١٠٧) المرزوقي : ١٠/١ . وفي شرحه لمعاد المرزوقي " بالطبع " ، انتهى ابن عاشور : ٢٠ ، إلى مرادفة الذوق له ، مستشهدا بمساعده أئمة الأدب يقولون : " هذا يشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم " .

(١٠٨) ابن عربي : ٦٧ . وراجع ابن عاشور : ٢٠ : قد روى عن السكاكي أن أستاذه الحائمي كان يحيلهم كثيرا ، إذا راجعوه في عسائت الكلام ، على الذوق ، ثم قال : " ونحن حينئذ بمن نغ في عدة شعب من علم الأدب " .

(١٠٩) شبلى : ١٣١-١٣٢ .

(١١٠) ماي : ٥٧ .

(١١١) ويلي : ٢٦٥ . وقد قال شبلى رحمه في عقب رفضه لما سماه التحليل الأسلوبى الذاتى : " لا بدنى رفضنا لهذا الاتجاه أن الحدى أو التعميم الذاتى بمعناه الراضع ، لا يحل مكانا فى التفسير الأسلوبى الشامل . إن مثل هذا الجانب فى داخل التفسير ، يعنى توضيحه وعدم الاستغناء عنه جد ذلك ، وخاصة عند عدم وجود إمكانات أخرى فى التفسير أو الشرح ، ويعنى كسب أساس أى تفسير من خلال المناهج التحليلية التى يمكن القيام بها " ١٣٢ .

(١١٢) مصلوح : ٨٨ .

(١١٣) يميل بعض المقتنين المعاصرين إلى أن يميزوا المهم للشيء ، بالنسب إلى مصدره (مثاله الإسلامى ، للمشتغل بالإسلام العامل له) ، والجاري فيه على موروث عاداته ، بالمشتق من مصدره (مثاله المسلم - اسم الفاعل - للمكتفى من الإسلام بما تعود) ، ولا بأس بهذا التمييز ، ولأن أشكل علينا فى " الاستقبالي " : فتركاه إلى مبيته .

(١١٤) ولأن اقضى الكلام (استقبالي) .

(١١٥) سئل يوسف لإدريس فى قول مجيد طوبيا فى جيله من القصاصين والروائين المصريين : " نحن جيل لا أستاذة له " : فقال : " إذن لم يتعلموا !

(١١٦) الأهوازي : ٦٣ ، وإسماعيل : ١٧٦ : قد نبها على مشكلة اللغة المستعارة عند المحدثين الأوائل والأواخر .

(١١٧) ابن عاشور : ٦٥ ، وقصاب : ٢٠٠-٢٠٢ .

(١١٨) ناصف : ٤٢ ، ٧٧ ، ١٣٢ .

(١١٩) السابق : ٨٨ . ولأن فيه فيما جد على أن منهج المرجعاني كان ثورة على تلك المقولات القديمة ، واعتذر عنه قائلا : " ليس من الصواب أو

الشرف فى شيء أن طالب باحما ذكيا فى القرن الخامس ، بما عجز عنه الدارسون حتى القرن الرابع عشر الهجرى " ٢٤٨ ، طاروا اعتذاره عنه بدعوة الباحثين إلى استحداث مقولات لا يتحدثون من مناهج .

(١٢٠) الجابري : ٨٦-٨٧ ، ٨٨-٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ . وكذلك عبد المطلب : ٣٦٢ .

(١٢١) الحمزاوي : ١١-١٣ ، ٢٦-٢٧ ، ١٦١-١٦٢ .

(١٢٢) طوقان : ٨٩ ، ٩٠-٩١ .

- (١٢٣) قباني : ٣٤ ، ٤٤-٤٦ ، وطوقان : ٨٨-٩٣ .
- (١٢٤) ناصف : ب = ٢٠ . وكذلك بشر : ٣٤-٣٥ ، ٥٦-٥٩ .
- (١٢٥) عياد : ٨٤ .
- (١٢٦) بشر : ٧٨ .
- (١٢٧) حجازي : ١١ .
- (١٢٨) عبد الله : ١٦-١٩ . ولا غنى دلالة كلامه على أنه من أصحاب الدعوى الأولى المفضدة في الفقرة المشرن .
- (١٢٩) أدونيس : ١٣٥-١٣٦ ، والخراط : ٤٦ . وقد وضمت في تأمل هذه الدعوة مجاً باسمها ، قصيرا ، أرجو أن يتاح لي نشره قريبا .
- (١٣٠) عياد : ٧٢-٧٣ ، ١٠١-١٠٣ .
- (١٣١) محمد : ٣٠ ، وعلي : ١٢ .
- (١٣٢) بزج : ١٠٣ . وبهذه النتيجة خرج بجي المشار إليه في (١٢٩) .
- (١٣٣) درويش : ٣٠٩ . وكذلك الملايكة : ٣٢٢ ؛ فقد سخرت بمثل هذا ، بمن سَمَّته " طفل اللغة المدال " .
- (١٣٤) الجاحظ : ١٤٤/١ .

مراجع البحث

- الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر) : " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " ، تحقيق السيد أحمد صقر ، وطبعة دار المعارف بمصر ، للرابعة .
- إبراهيم (الدكتور شكري بركات) : " دراسات في الشعر العربي : ٤ - البديع والبنية في الشعر العربي الوسيط " طبعة سنة ١٩٩٤م ، ونشرة دار الثقافة العربية بالقاهرة .
- ابن أبي الأصم (المصري) : " تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن " ، قدم له وحققه الدكتور حفي محمد شرف ، وطبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة .
- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري) : " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " ، قدم له وحققه وعلق عليه الدكتوران أحمد الحرفي وبدوي طيانه ، ونشرته دار نهضة مصر بالقاهرة .
- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) : " الاشتقاق " ، حققه وشرحه الأستاذ عبد السلام هارون ، وطبعته دار الجليل ببيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م .
- ابن رشيق (أبو علي الحسن الأزدي) : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه وقده " ، تحقيق الأستاذ محمد عي الدين عبد الحميد ، وطبعة دار الجليل ببيروت ، الخامسة سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- ابن سلام (محمد الجسحي) : " طبقات شعراء " ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، وطبعته المدني بالقاهرة .
- ابن سنان (أبو محمد الخفاجي الحلبي) : " سر الفصاحة " ، تحقيق علي فوده ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، نشرة الخفاجي بالقاهرة .
- ابن طابطا (أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي) : " عيار الشعر " ، حققه الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، وطبعته دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ابن عاشور (محمد الطاهر) : " شرح المقدمة الأدبية " ، طبعته دار الكشاف ببيروت سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م ، ونشرته دار الكتب الشرقية بتونس .
- ابن عربي (أبو عبد الله عبي الدين بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي) : " ديوانه " ، طبعته بولاق بالقاهرة ، سنة ١٢٧١هـ ، ونشرته دار المثنى ببغداد .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : " الشعر والشعراء " ، حققه وشرحه الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وطبعته دار المعارف بمصر .
- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري) : " لسان العرب " ، طبعته دار المعارف بالقاهرة .
- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) : " ديوان الحماسة " ، طبعته السعادة الطبعة الثانية سنة ١٣٣١هـ = ١٩١٣م ، ونشرته المكتبة الأزهرية بالقاهرة .
- أدونيس (علي أحمد سعيد) : " زمن الشعر " ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م ، نشرته دار العودة ببيروت .
- إسماعيل (الدكتور عز الدين) : " الشعر العربي المعاصر " ، طبعة دار الكاتب بالقاهرة سنة ١٩٦٦م .

- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي) : " الأغاني " ، حققه وأشرف عليه الأستاذ إبراهيم الإبراهيم ، وطبعته دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .
- الأهراني (الدكتور عبد العزيز) : " ابن سناء الملك ومشكلة النظم والابتكار في الشعر " ، طبعة دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ، الثانية ١٩٨٦م .
- أونيغ (والتر . ج) : " الشفاهية والكتابة " ، ترجمة الدكتور حسن البنا عز الدين ، ومراجعة الدكتور محمد عصفور ، وطبعة مؤسسة دار السياسة بالكويت ، العدد ١٨٢ من سلسلة عالم المعرفة ، لشعبان ١٤١٤هـ = فبراير ١٩٩٤م ، نشرة المجلس الوطني الكويتي .
- البابرتي (كمال الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد) : " شرح التلخيص " ، درسه وحققه الدكتور محمد مصطفى رمضان صوفية ، وطبع سنة ١٣٩٢و .ر = ١٩٨٣م ، ونشرته المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان بطرابلس ليبيا .
- البرقوقي (عبد الرحمن) : " شرح التلخيص " ، طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة ، المصورة عن الطبعة الثانية سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م .
- بزع (شوقي) : حوار بكاتب الأستاذ جهاد فاضل " أسئلة الشعر " الذي نشرته الدار العربية بليبيا
- البغدادي (عبد القادر بن عمر) : " خزانة الأدب ولب لآب لسان العرب " ، حققه وشرحه الأستاذ عبد السلام هارون ، وطبعته المدني الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م ، ونشره الخانجي بالقاهرة .
- بشر (الدكتور كمال محمد) : " العربية بين الوهم وسوء الفهم " ، طبعة سنة ١٩٩٩م ، ونشرة دار غرب بالقاهرة .
- حطب (أبو العباس أحمد بن يحيى) : " قواعد الشعر " ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب ، ونشره الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٩٥م .
- الجابري (الدكتور محمد عابد) : " قد العقل العربي (١) تكوين العقل العربي " ، الطبعة السابعة في أكتوبر ١٩٩٨م ، نشرة مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت .
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، حققه الأستاذ عبد السلام هارون ، وطبعته المدني الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الصوري) :
- * " دلائل الإعجاز " ، قرأه وعلق عليه أبو فهر عمود محمد شاکر ، وطبعته المدني ، ونشره الخانجي بالقاهرة .
- * " أسرار البلاغة " ، قرأه وعلق عليه أبو فهر عمود محمد شاکر ، وطبعته المدني الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩١م ، ونشرته دار المدني بمكة . (والدلائل هو المقصود دانا ، فإن عَرَضَ الأسرار نهَتْ عليه في المتن) .
- حجازي (أحمد عبد المصطفي حجازي) : " رسالة إلى أمل دقل " ، مقال بسفر أمل دقل الذي حررته عبلة الروفي ، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م .

- حرب (طلال) : " ديوان مهمليل بن ربيعة " ، طبعة الدار العالمية بيروت سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

- الحسيني (راشد بن حمد بن هاشل) : " الأراج الخروصي سالم بن غسان ، حياته وشعره : دراسة موضوعية وفنية " ، طبعة النهضة بسلطنة عمان ، الأولى سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

- الحلي (صفي الدين) : " المعامل الحالي والمخلص التالي " ، حققه الدكتور حسين خمار ، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- الحمزاوي (الدكتور محمد رشاد) : " العربية والحداثة أو النصيحة فصاحات " ، نشرة المعهد القومي لعلوم التربية بتونس ١٩٨٢م .

- الحفراط (إدوار) : " أنا والطاير : مقاطع من (سيرة ذاتية للكتابة) عن السلطة والحركة " ، مقال بالعدد ٣ من المجلد ١١ لخريف ١٩٩٢ من مجلة فصول ، الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- الحفاجي (الدكتور محمد علي رزق) : " طاهرة الابتغال في اللغة والتقد " ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م ، نشرة الدار الفنية بالقاهرة .

- خليل (الدكتور حلمي) : " العربية والتفوض " ، طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، الأولى سنة ١٩٨٨م .

- درويش (محمود) : حوار بكاتب الأستاذ جهاد فاضل " أسئلة الشعر " السابق الذكر .

- الرضوي (محمد بن الحسن الإسماعيلي الصوري) : " شرح شافية ابن الحاجب " ، تحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، وطبعة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م ، ونشرة دار الفكر العربي بالقاهرة .

- محمد (السيد إبراهيم) : " الضرورة للشعر : دراسة أسلوبية " ، طبعة دار الأندلس ببيروت .

- الشايب (أحمد) : " الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية " ، الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٨م ، نشرة مكتبة النهضة المصرية .

- شيلندر (برنر) : " علم اللغة والدراسات الأدبية : دراسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة النصي " ، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود جاد الرب ، وطبع الأولى سنة ١٩٩١م ، ونشرته الدار الفنية للنشر والتوزيع بالقاهرة .

- صقر (الدكتور محمد جمال) : " علاقة عروض الشعر ببنائه الصوري " ، طبعة المدني بالقاهرة ، الأولى سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

- صمود (حمادي صمود) : " التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس : مشروع قراءة " ، طبعة المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٨١م ، ونشرة الجامعة التونسية .

- ضيف (الدكتور شوقي) : " البلاغة : تطور وتاريخ " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، السادسة .

- الطرابلسي (الدكتور محمد الهادي) : " خصائص الأسلوب في الشوقيات " ، طبعة سنة ١٩٨١م ، ونشرة الجامعة التونسية .

- الطناحي (الدكتور محمود محمد) : " ديوان المماني لأبي هلال السكري وشي من التحليل والعروض والفهرسة " ، بحث بالجزء الأول من المجلد السادس والسبعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، طبعة الصباح سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

- طوقان (فدوى) : " رحلة جبلية رحلة صعبة : سيرة ذاتية " ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٨ م ، نشره دار الشروق بعمان الأردن .
- العبد (الدكتور محمد) : " اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة : بحث في النظرية " ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ م ، نشره دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة .
- عبد الله (الحساني حسن) : " عفت سكن النار " ، الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٢ م .
- عبد اللطيف (الدكتور محمد حماسة) : " النحو والدلالة : مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي " ، طبعة المدينة الأولى ، سنة ١٩٨٣ م .
- عبد المطلب (الدكتور محمد) : " البلاغة والأسلوبية " ، طبعة دار نوبار بالقاهرة سنة ١٩٩٤ م ، ونشرة مكتبة لبنان ببيروت والشركة المصرية العالمية (لونغمان) .
- العربي (سالم بن سعيد بن خيس) : " حماة الفشل " ، قصيدة فائزة بمهرجة التشجيع الأولى ، منشورة بكتاب مهرجان الشعر العماني الثاني ، طبعة العالمية بسلطنة عمان ، الأولى سنة ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م .
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل) : " كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر " ، تحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة ، الثانية .
- علي (الدكتور نبيل) : حوار برنامج " بلا حدود " بقناة الجزيرة الفضائية www.aljazeera.net حلقة ١٤٢٢/١/٤ هـ = ٢٠٠١/٣/٢٩ م ، ص ١٢ من ٢١ .
- عياد (الدكتور شكري محمد) : " اللغة والإبداع : مبادئ علم الأسلوب العربي " ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م ، نشره إيترا تشيونال برس .
- فارمر (هنري جويج) : " تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي " ، عربي وعلق حواشيه ونظم ملاحقه جرجيس فتح الله المحامي ، ونشرته دار مكتبة الحياة ببيروت .
- الفريجات (الدكتور عادل) : " الشعراء الجاهليون الأوائل " ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤ م ، نشره دار المشرق ببيروت ، وتوزيع المكتبة الشرقية ببيروت .
- فندريس (جوزيف) : " اللغة " ، تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، طبعة سنة ١٩٥٠ م ، ونشرة مكتبة الأنجلو المصرية .
- القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادى) : " الأمالي " ، طبعة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م ، الثانية ، نشره دار الجليل ودار الآفاق الجديدة ، ببيروت .
- قباني (نزار توفيق) : " الشعر قنديل أخضر " ، الطبعة السادسة عشرة ، يناير ٢٠٠٠ م ، من منشورات نزار قباني ببيروت .

- فصاب (الدكتور وليد) : " قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم : ظهورها وتطورها " ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م ، نشرة المكتبة الحديثة بين الإمارات العربية المتحدة .
- القرطاجني (أبو الحسن حازم) : " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " ، قدم له وحققه الأستاذ محمد الحبيب بن الخويجة ، وطبعته دار الكتب الشرقية ب تونس سنة ١٩٦٦م .
- القوال (أنطوان محسن) : " ديوان المهملل " ، طبعة دار الجيل ببيروت ، الأولى سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .
- ماي (رولفو) : " شجاعة الإبداع " ، ترجمه الدكتور فؤاد كامل ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م ، نشرة دار سعاد الصباح بالقاهرة .
- محمد (الدكتور محمد سيد) : " الإعلام واللغة " ، طبعة ١٩٨٤م ، نشرة عالم الكتب بالقاهرة .
- المرزباني (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران بن موسى) : " المروشح : مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر " ، حققه الأستاذ علي محمد البجاوي ، وطبعته دار الفكر العربي بالقاهرة .
- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين) : " شرح ديوان الحماسة " ، حققه الأستاذان أحمد أمين وعبد السلام هارون ، وطبعته دار الجيل ببيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م .
- مصلوح (الدكتور سعد) : " العربية من نحو (الجملة) إلى نحو (النص) " ، بحث بالكتاب التذكاري " عبد السلام هارون : معلما ومؤلفا وعحققا " ، الذي أعده الدكتوران وديعة طه التجم وعبد بدوي ، نشرة سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .
- المعزلي (عبد الجبار القاضي) : " المفتي في أبواب التوحيد والعدل " ، نشرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .
- للملاذكة (نازل) : " قضايا الشعر المعاصر " ، الطبعة السابعة سنة ١٩٨٣م ، نشرة دار العلم للملايين ببيروت .
- ناصف (الدكتور مصطفى) : " اللغة بين البلاغة والأسلوبية " ، نشرة النادي الأدبي الثقافي بجدة لجمادى الآخرة سنة ١٤٠٩هـ = يناير ١٩٨٩م ، (كاتبه رقم ٥٣) .
- الوعر (الدكتور مازن) : " دراسات لسانية تطبيقية " ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م ، نشرة دار طلاس بدمشق .
- ويليك (رينيه) ، ووارين (أوسن) : " نظرية الأدب " ، ترجمة عبي الدين صبيحي ، ومراجعة الدكتور حسام الدين الخطيب ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥م ، نشرة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .
- يوسف (الدكتور جمعة سيد) : " سيكولوجية اللغة والمرض العقلي " ، نشرة المجلس الوطني الكويتي ليناير ١٩٩٠م (كتاب عالم المعرفة رقم ١٤٥) .